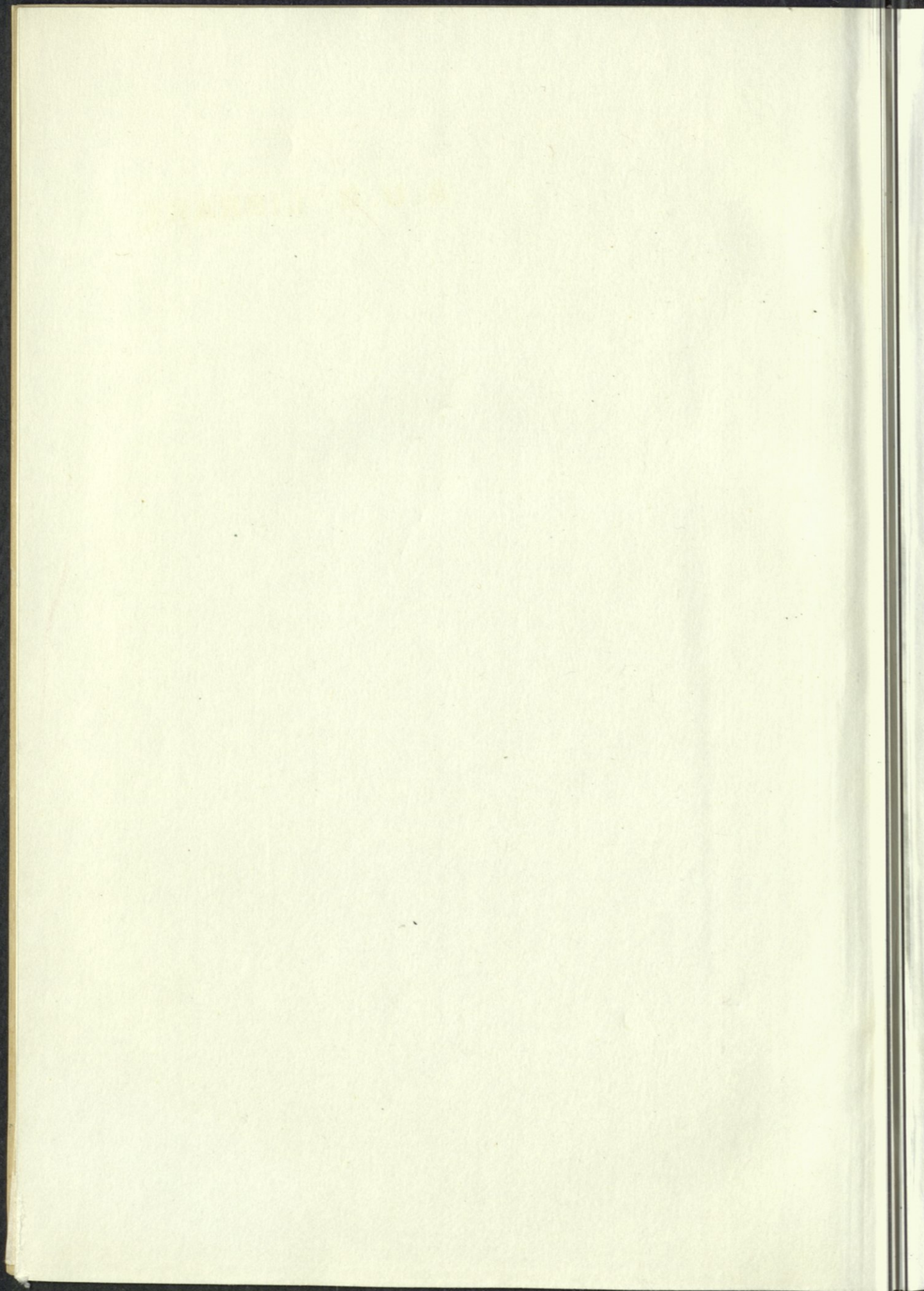
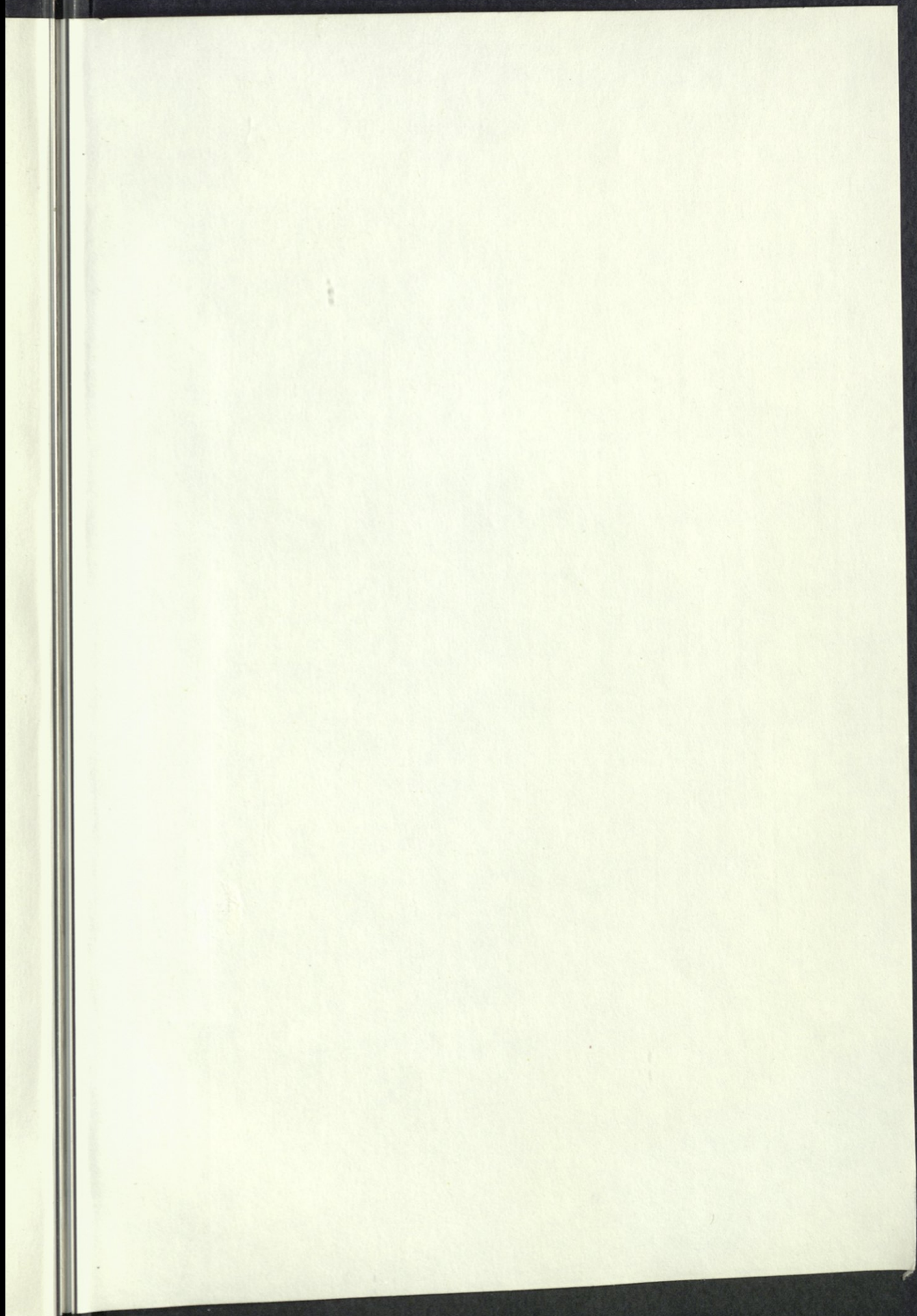
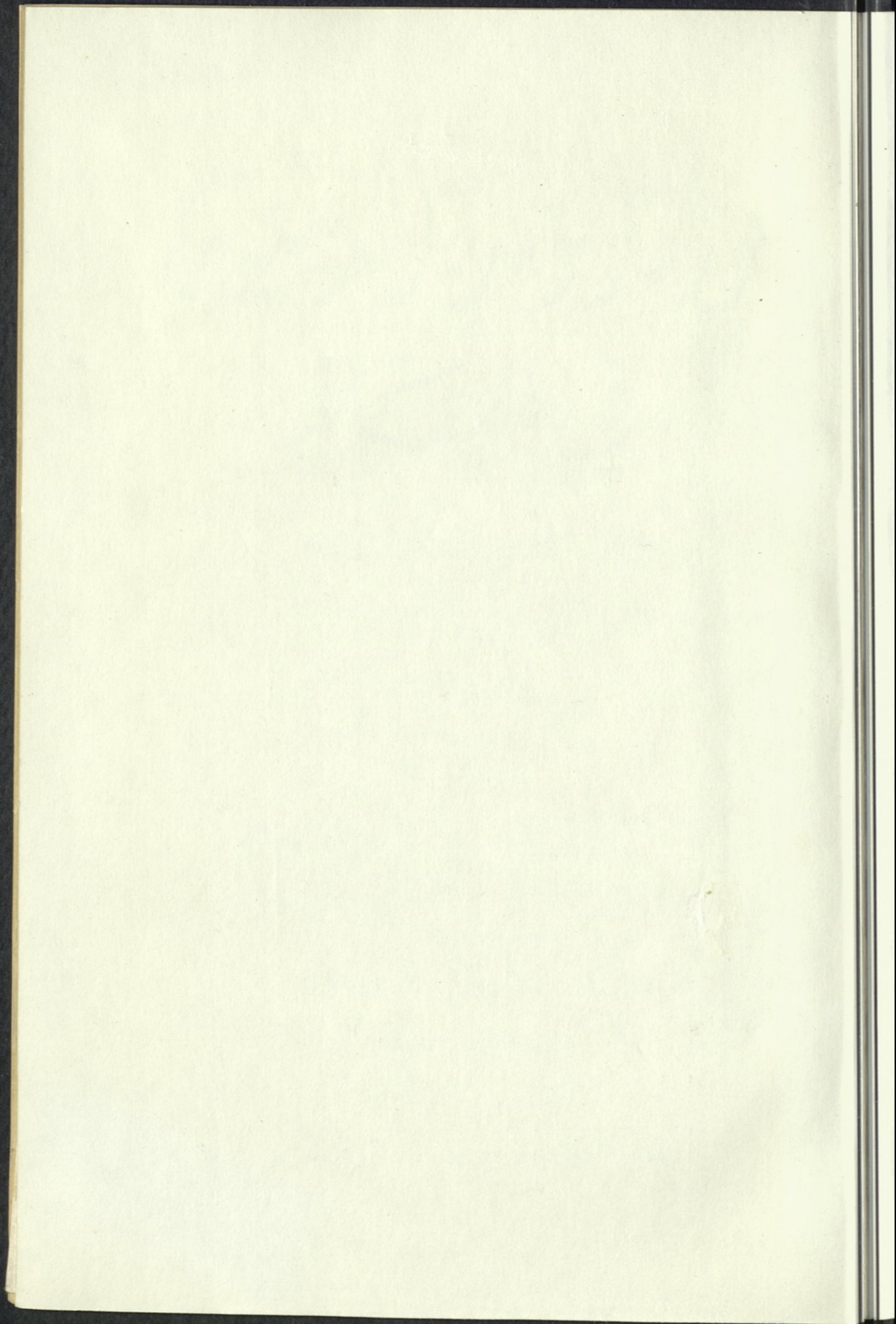


294
D124nA
v.1
C-2

A. U. B. LIBRARY,







7

294
D124nA
Vol
C.2

نواة الوعمرة الدينية

في العالم

البراهمة

الجزء الاول

تأليف -

هاشم الرفندار المريني و محمد علي الزعبي

المدرسين في كلية فاروق الأول الشرعية ببيروت

صدر عام ١٣٦٧ هـ و ١٩٤٨ م

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الانصاف * بيروت * شارع المعروض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وخالق الخلق اجمعين، من لم ينس
شعباً من الشعوب من فيوض رحمته، وغيوث عطاياه .
والصلاة والسلام على رسل الله مبلغني وحيه الهداة الرحماء
والمصلحين الانسانيين الذين جعلهم الله شمس الهداية
وكواكب السعادة، ساداتنا: وقررة اعيننا نوح وادريس
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم)
وعلى آلهم وأتباعهم الكرام والمصلحين العظام الذين نهضوا
بأعباء الدعوة الى الله واخلصوا لها اليهود، واوقفوا لها
النفوس والنفيس .

وبعد : فان مصادفات الاقدار ، وحظوظها الكريمة
ساقتنا الى الاجتماع بمجالس شتى لاخواننا اهل الاديان
المجاورة، وقد رأينا بعد محو ثنا التي كانت حافلة بالود، والصدق
والاخلاص ان كثيراً من سوء التفاهم ما أتاه كلمة سيدنا الامام
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (الناس اعداء ما جهلوا)

وقد اجتمعنا في دار احدنا (١) الى المستشرق الكبير
العلامة «ماسينيون» عصر يوم الاحد ٣ آذار ١٩٤٥ بحضور
المحامي جرج بوجي، والاديب كامل الحاج، والمستشرق
الفرنسي الاب دوبور، وقضينا جميعاً ساعة زاخرة بالبحث
والاشراق. وقد تبيننا ان العلم والمعرفة والدراسة تناسب
بين النفوس، وتقارب بين القلوب، وتوحد الاهداف، وتبيد
الضغائن التي ينفثها صغار العقول، ويمجدها الهدامون السرفون
وفي هذه السنة نفسها اقام الصديقان الكريمان
الاديبان، الامتاز السيد رفيق سنو صاحب جريدة بريد
اليوم، وشقيقه الامتاز السيد رشيد سنو، في منزلها ببيروت
حفلات ليلية، للبحث والمناقشة بهدوء وحب وعلم ومعرفة،
وصدق واخلاص، بيننا وبين العالم اللاهوتي الاخ الدكتور
ابراهيم سويدان (٢) ورفاق له اكرام متطوعين خيرة الانسانية
وقد تبين لنا ان البحث الحر الشريف الناضج، والمعرفة العامية

(١) في منزل الشيخ هاشم الدفتر دار المدني

(٢) صديقنا الحائز على شهادة اللاهوت من الجامعة الاميركية

العميقة، لا تحدث ضوضاء ولا خصومة ولا سوء فهم .
اذن فلا نرتاب أن اخواننا أهل الاديان الاخرى، اذا
درسوا سيرة خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه دراسة عميقة ناقدة، وانعموا
نظارهم في الوحي الذي انزله الله عليه، احبوه كل الحب
واخلصوا لو الود والايمان .

وكذلك نحن حين ندرس الاديان نجد انفسنا تذوب
اكباراً، وقلوبنا تستضيء ايماناً واذعاناً، وتخضع لدى ذكرى
دعاة الاديان الكبرى، رسل الله، عليهم الصلاة والسلام.
وقد كان وقع دراساتنا في انفسنا واثربحوثنا كوقع شبح
الرائد، إذ تبدى على بعد لمصحر، فانشى على بندقيته وكاد
يطلق عليه رصاصه اذ خاله وحشاً كاسراً، وليكنه تريث
قليلاً حتى يتبين، فاذا هو شبح انسان فخاله عدواً فاتكأ
وحاول ان يطلق عليه رصاصه ولكنه تريث نزلة اخرى
حتى يتيقن، وما كاد يقترب منه حتى التقى سلاحه وهجم عليه
معانقاً اذ هو شقيقه ورفيق حياته !!!

وانا نصارح قراءنا بأن كل ما نراه من احقاد وجماعات

وَقَدْ رَعْنَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، مَا تَاهُ جَهْلُ كُلِّ فَرِيقٍ بِمَا لَدَى
الْفَرِيقِ الْآخَرَ مِنْ أَضْوَاءٍ وَكُنُوزٍ وَحِكْمَةٍ وَخَلْقٍ وَهَدَايَةٍ .

وَقَدْ اجْتَمَعْنَا إِلَى أَهْلِ أَدْيَانٍ أُخْرَى مِنْ الْهِنُودِ الْبُؤْذِيَّةِ
وَالْبِرَاهِمَةِ فَرَحِبُوا بِمَا أَبْدَيْنَاهُ مِنْ بَحْوثٍ قَائِلِينَ: (نَحْنُ وَأَنْتُمْ
نَرْجِعُ إِلَى أَبِي رُوحِي وَوَاحِدِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَدْ
غَمَّرُونَا بِمُؤَدَّتِهِمْ لَا سِيَّمَا حِينَ ذَكَرْنَا لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ يَمْجِدُ
اتِّبَاعَ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) .

وَقَوْلُهُ: « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً » وَكَيْفَ لَا يَكُونُ
أُمَّةً وَقَدْ عَمِلَ عَلَى نَشْرِ الْحَنِيفِيَّةِ فِي كُلِّ الْأُمَّةِ . هَذَا وَقَدْ رَأَيْنَا
مِنْ الْوَاجِبِ أَنْ نَقُومَ بِدَرَامَاتِ الْأَدْيَانِ الْكُبْرَى دِرَاسَةً
شَرِيفَةً بَرِيئَةً مِنَ الْغُلِّ وَالتَّنْكَرِ وَالتَّهْجَمِ وَالتَّزْيَادَةِ وَالتَّنْقِصِ
وَالتَّقْوَلِ وَالْإِفْتِئَاتِ، لِتَكُونَ دَعَامَةً لِلْمُصْلِحِينَ الدِّينِيِّينَ الَّذِينَ
يَعْقُدُونَ الْمُؤْتَمَرَاتِ الدِّينِيَّةِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَيَحْرَمُونَ
التَّكَلِيمَ فِي دِينِ مَا قَبِلَ دِرَاسَتَهُ، وَمَعْرِفَةَ أَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ
وَقَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ، وَمَا جَدَّ فِيهِ مِنْ نَحْلِ، وَمَا بَقِيَ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِ

وما استوثق فيه من مصادر يعترف بها العلم، وما وهن
وضعف، ولم يكن له من منذ علمي صحيح .

والذي نعتقده اذا أصفى اهل الاديان الود والاخلاص
وأرادوا الخير لأهمهم، والانسانية جمعاء، وطلبوا الحقيقة على
ضوء العلم والواقع ونشدوا الهدى الذي انزله الله في وحيه.
فبعيد بعيد ان يجدوا تبايناً وتناحراً وصراعاً وخصومة
فبعيد بعيد ان يجدوا دسماً وافكاً وكذباً وبهتاناً . فبعيد
بعيد ان لا يجتمعوا في صعيد واحد . يتعاقون ويمهدون
سبل الوحدة التي سوف يكشفها العلم، والواقع والحق، بل
ويقرضها فرضاً .

ويعلم الله كم بذلنا ونبذل من جهود، وكم سهدنا وكم جمعنا
وكم كتبنا؟ ...

أجل قد انقطع احدنا (١) لما اختص به من عمل الى
البحث في أعماق المجلدات، وكهوف الاسفار، وحجرات
الصحف والمجلات، لاستخراج النصوص وتدوينها وتصيدها

(١) محمد علي الزعبي

من هنا وهناك ، وادخارها بجد وجهد وبحث وتنقيب
ما ينوف على ربع قرن .

وانقطع احدنا (١) الى تبويب تلك النصوص ، ووضعها
في ابوابها ، في اسلوبه المشرق الجذاب ، وفنه الرائع واستخراج
ما تهدف اليه من اغراض سامية ومقاصد بعيدة تقدم
الجديد من رائع الافكار وغريب المقاصد التي لا تعدو
الحقيقة ولا تتجاوز والواقع ما يناهز تلك المدة .

وهانحن أولاء تقدم الى الانسانية جمعاء ما سلخنا في
صنعه السنين الطوال غير وانين ولا متخاذلين .

أجل؟ تقدم اليها هذه الجهود ، وكل منا يحس في اعماق
نفسه أنه أرضى الله بما بذل وجاهد وناضل وحقق وسهد
وارضى رسله الكرام (صلوات الله عليهم) بما اقتبس من
انوارهم واثرتى بهداهم في أعماله ، ونهيج نهج المصلحين الكرام
الذين يريدون الخير لوجه الله والانسانية ، والحق لا لشهرة
أو غاية أو سمعة . ولا لشيء مما يهدف له الوضعاء وصغار النفوس .

(١) هاتم الدفتر دار المدني

وانا تقدم حمدنا واكبارنا وتقديرنا للعلامة الكبير المحقق
الطبيب خالد عطوى نصيف ، لما أرشدنا اليه من نصوص
انكليزية وما هدانا اليه من كتب ، وسيجد قراؤنا ترجمة هذا
الطبيب الحكيم في صفحة خاصة من هذا الكتاب .

كما نشكر كل الذين ساهموا ويساهمون في اذاعة هذا
الكتاب ، وعملوا على نشره بالرأي والمادة . لاسيما الشاب المسلم
الغيور السيد حسن زكي الطرايشي الذي بذل من ذات
يده الكثير الكثير ، لاذاعته بين الجماهير .

فقد وجد فيه روح الدعوة الدنيية التي يرجو نشرها
في العالم كل ذي حجر ، ويعمل لها .

ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن التوفيق الى ما فيه

خير الانسانية وفلاحها .

بيروت ١٣٦٧ هـ . و ١٩٤٨ م .

المؤلفات

هاشم الرفقير دار المطبوعين ومحمد علي المزهبي

توطئة

— ٥٢ —

لقد اغتر كثير ممن ينتسبون الى العلم بما أعطتهم العلوم المادية التي تبحث في ظواهر الوجود وخصائصه ، وبهرهم ما تعطيه كل يوم من جديد ، ونسوا أن ظواهر هذا الوجود ودراسة علومه المستمدة من تجارب الانسان وأبحاثه لاتعدو أن تكون مثلاً لمن رأى شاطئء المحيط الأعظم وما فيه من عوالم وهو لا يدري عنها شيئاً ، وخال ما أدر كه من غرائب الشاطيء كل ما في المحيط .

ونحن اذا نظرنا الى هذه الكرة التي لا تزيد عن ذرّة من هباء في حساب العلم بالنسبة للعوالم المترامية وعظمة أجرامها في أبعاد الفضاء ، المدركة منها والمظنونة والمجهولة ونظرنا الى الحقائق العلمية الضئيلة التي وصلنا اليها بجانب ما نجهد - فلا شك أننا لانزال في دور الطفولة العلمي ، وهل يحق لاطفال يعالجون دراسة الابجدية ولما يهضموها ان يناقشوا الجامعيين والفلاسفة فيما انتهوا اليه من علوم ونظريات ؟ !

على أن الفلاسفة والعلماء وكل رجال الفكر لا يستطيعون أبداً أن يتحكموا في حقائق الوجود العليا ، لان هذا التحكم افتات على المعرفة باسم العلم .

واكبر المجرمين الجناة أولئك الذين يحاولون هدم أدبيات الانسانية العليا وحقائق الايمان الكبرى كي ينالوا القاب الفلاسفة

والعلماء بعد أن سدت في وجوههم السبل وعجزوا عن ان يأتوا
بجديد من العلوم وابتكار من المعرفة .

وملء نفوسهم عرام الشهرة (١) وشهوة كبرياء الذات المنحطة
فما وجدوا الا أن ينالوا من الايمان بخالق الكون ويجدوا به
وفي ظنهم أنهم اصبحوا علماء مخترعين وفلاسفة مقتدرين .

ولو انهم اقبلوا على العلم والمعرفة بحق وتبينوا ما تهدي اليه
عوالم الوجود وما ينكشف منها لهذا الانسان من أسرار وحقائق
كل يوم ، لاحتقروا أنفسهم بما يشيدون من افك ، على انهم لو
انعموا نظرهم بعمق فيما كتبه عباقرة الفلاسفة وابطال الاصلاح
لوجدوا الايمان بعظمة خالق الكون وقداصة الحق يزخر في أعماق
قلوبهم ويفيض بالجلال والاكبار .

(١) اراد الدكتور طه حسين مداعبة الازهرين فأنكر أن
ابراهيم شاد البيت الحرام وهو يعلم أنها مسألة علمية لا مجال
لنكرانها ، تشهد بها الآثار وحقائق التاريخ ولم يفتن الازهريون
لتلك المداعبة فشهروا به فاشتهر ! وحذف ذلك بعد أن قال ما تمنى
لانه لم يقصد به الى العلم ولا الى التحقيق !

وحاول بعضهم أن يسلك هذا الطريق ولكن كانت مداعبة
ثقيلة فأنكر كثيرا من الأشياء تباءاً ولم يحفل به أحد وأخيراً لم
يجد سبيلاً الا أن يسرق قول الفيلسوف الألماني (نيتشه) والعلامة
الفرنسي (غوستاف لوبون) وهي : ان فكرة وجود الاله من
الانسان ثم لم يلبث أن أصبح مستعبداً لتلك الفكرة ، واصبحت

ولا ريب أن الدافع لانصاف المتعلمين على التجديف وقوفهم
عند ظاهر النصوص وتقيدهم بالحرف .
هذا الوقوف وذاك التقيد أضرا بأقدم الأديان وأحدثها
أضراراً بالغة مزقت جامعاتها وهدمت حيوياتها وجعلتها لدى الدارس
السطحي محلاً متناقضة ومذاهب متباينة . وأكبر ما نهدف إليه في
بجوثنا ودراساتنا للأديان الإلهية الكبرى في العالم التي تعتنقها
جماعات إنسانية كبرى ، لها جامعاتها ، وعلمائها ، وتاريخها ، ولها
معابدها الكبرى ، وكتبها المقدسة ، ورسائلها ودعاتها ، ونحلها
المختلفة ، هو أن نضع جهودنا ونوايانا الإنسانية الرفيعة ولبناناتنا
الحية بين يدي الحقيقة العليا ، بين يدي شمس المعرفة الإنسانية ، بين يدي

في نظره حقيقة فهو حين يعبد انما يعبد نفسه ، فالإنسان أكبر شيء
في الكون لانه هو ذاك المعبود وقول الشاعر .

عالم الوهم نحن صفنا رؤآه و اردناه ان يكون فكانا
وما زال يلوك هذه الفكرة المسروقة ويرددها من مقالة لأخرى
غير واجد من يشهر به فيشتهر ولا من يفكر في الرد عليه .
وقد كانت ثقيلة باردة لكثرة ترديدها ، على أن القرآن
كفانا الرد على هذا المذهب الذي نادى به فرعون لأول مرة
(انا ربكم الاعلى)

اجل لا ينال مقام الانسان بمثل هذه الترهات والاباطيل وانما
ينال بالعلم والمعرفة والايان بمخالق الوجود والعمل لمثل الإنسانية
العليا والجهاد في سبيلها .

الايان بوحدانية الله الذي هو حقيقة كل هانيك الاديان . - نضعها
مخلصين لله الحق وللانسانية واديانها العليا التي اوحاها الله رحمة للعالمين
وهدي ونوراً .

والاديان وان اختلفت في فروعها فيما تبدو لاول وهلة ، او في
بعض اصولها ، فان هناك بلا ريب وحدة تجمعها ودعامة اولية
ترتكز عليها .

ذلك لان الله الخالق الذي اوحاها وانزلها على الدعاة المؤسسين
لها ، محال أن يوحي لقوم عقيدة تخالف كنه الايمان به وبوحدانيته
وعظمته وجلاله وكماله وتنزهه عن مشابهة خلقه .

نعم قد تكون العقيدة متباينة في أساليبها ، وطريقة ادائها ،
وتبليغها بالنسبة لاختلاف الاجيال في سلم الحضارة ، وتغايرها مدنية
وعلمياً وجهلاً ، وان كانت واحدة في كنهها وروحها .

واكبر جهودنا التي بذلناها بضراوة وعمق وسهد ، هو التغلغل
الى تلك الحقيقة والامعان في أعماق ذلك الروح . ونود هنا أن نلفت
نظر قرائنا موفرين عليهم كثيراً من التساؤل ، حيث يبدو لنظرهم
أن الاختلاف ا كبر مما نذكر ، واوسع مدى مما نقدر ، موفرين عليهم
هذا التساؤل في قولنا: ان الاختلاف بين الاديان واجب وضروري
أيضاً ، ولو عقل كثير ممن ينتمون اليها أن هذا الاختلاف واجب
وضروري لابقوا على أنفسهم جهد المشقات واستراحوا من عناء
التنازع بالالتقاب والتدافع بالاكف . ونقدم بين ايديهم مثلاً لما
نهدف اليه في بحوثنا . هل يرتاب القراء في أن وزارة المعارف تقصد
في وضع مناهجها غير المعرفة ؟

لا لا... ومع ذلك فمحال أن تضع مناهج الجامعيين ماتضعه
لحدائق الاطفال . اذن فليس من الممكن أن لا تكون هذه السنة
الطبيعية التي هدى الله اليها خلقه محكمة في تعاليمه . اذ يختلف
وحي الشرائع وطقوس العبادات باختلاف الازمان والاجيال قال
الله تعالى (ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً)

ولكن العقائد الجوهرية المتعلقة بذاته تعالى وعوالم الروح
والآخرة لن تتغير ابدا ، لان الحقيقة الواحدة لا يطرأ عليها تغيير ،
ولكن تتغير طريقة الاداء وأسلوب التعبير الذي يختلف باختلاف
العقليات والبيئات والحضارة والمعرفة . نعم ان الانسان في
ادواره الاولى يصغر في نفسه كنه الخالق لصغر معنى الوجود وضالته
في معرفته ، فالدين محال الا ان يكون معطيا لله الصفات الكمالية التي
تليق بعظمة الصنعة وهولها ، وانما التنزل يكون في طريقة الاداء
لا في الحقيقة والكنه ، والالتفات في الشيء الواحد واصبح له حقائق
مختلفة وهذا محال . وكون العقائد الجوهرية التي اوحاها الله الى
الرسال محال ان تختلف ، واضحاً مما تقدم اليك من نصوص الاديان
فهذا رسول الله موسى يأمر بني اسرائيل باحترام الناموس الذي
جاء به جده الخليل ابراهيم وادريس والرسول قبلها وقد تناقل هذا
الناموس الديني الاعلى اتباع الاديان والرسول حتى ان علماء البوذيين
انفسهم يرون أن بوذا حين ذكر نصوص الناموس العشرة كانت
روح الخليل ابراهيم حالة به (١)

(١) راجع الجزء الاول من تاريخ ملوك العرب للريحاني فصل:
اديان واشجان

وهذا رسول الله عيسى المسيح يقول (ما جئت لانقض الناموس)
ولا ريب أنه يقصد من الناموس العقائد الجوهرية التي يستحيل
عليها التغيير . اما الطقوس فلا بد من تغييرها لما يوافق مقتضيات
البيئات والجماعات .

وهذا القرآن الكريم وهو خاتم الكتب السماوية ينادي
مصرحاً (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا
إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من
يشاء ويهدي اليه من ينيب) (١)

ولكن هذا الاختلاف غير الجوهرية هو عين الوحدة وهو عين
البرهان على انه وحي من الله ، واما الدين اي التدين وهو توجيه
العبادة وقصدها لله وحده وتوحيده وتنزيهه فهو شيء موجود في
اصول الاديان كلها وهو واحد ولا اختلاف فيه ويظهر ذلك لدى
انعام نظر الناقد الباحث المستريب ذي النية والايمان في مجموع
النصوص الموثوق بها علمياً في كل الاديان ، ويا ليتنا نعقل ما يعقله
الطلبة الصغار مع اخوتهم الجامعيين في توجيه اكبارهم ومحبتهم
لوزارة معارفهم اذ يدركون أن اختلاف المنهاج انما يقصد به شيان
تثقيف عقولهم وتهذيب نفوسهم ، كل بحسب دوره وبيئته ومقتضيات
حاله وسنه ، كما ان الطلاب جميعاً كباراً وصغاراً متفقون على
شيئين محبة بعضهم بعضاً ومحبة وزارتهم .
فالاديان جميعاً يقصد منها شيان : وحدة الانسانية بالايمان

(١) سورة الشورى الآية ١٢

بخالقها وسعادتها في محبة بعضها بعضاً ، ولت اهل الاديان جميعاً
يعقلون هذه الحقيقة التي عقلها الصغار فيوجهون ايمانهم لله خالقهم
توجيهها جامعا لوحدة اديانهم تاركين وراءهم كل اختلاف كان من
مقتضيات الاوضاع الزمنية والحاجات الظرفية ويحبون ذات بينهم
حبا صادقا لارياء فيه ولا افك ، اذ الاديان جميعاً تنادي بهذين
المبدئين (١) - معرفة الله ومحبة الناس - الذين هما سر الناموس
الديني الاعلى .

ونستعجل بك الى الفائدة مقدمين وحدة للعقيدة بصورة اكيدة
موجزة يقينية لكي نضع ايدينا على قلوبنا مرتبطين برباط المحبة
والثقة فرحين بالخلافات التي في الاديان لانها مما تؤكدها من الله
اذ محال ان تكون الشرائع غير موافقة للوضع الطبيعي التطوري
للامم اذ هذه الموافقة هي عين الحقيقة !
اما كنه العقيدة بالخالق لو اختلفت لبطلت من اساسها !! واما

(١) سيأتي بحث محبة الناس في الاديان كلها في توطئة الجزء
الثاني ونستعجل بك الى الفائدة بما جاء في دين ابراهيم كما حرره بوذا
(في الرؤيا الثامنة من الرامايانا) .

« ايها الناس ان اباكم جميعاً الله وحده وانتم اخوة تعاضدوا في
المصائب ولتكن الرحمة فوق العدل بينكم » ويريد بالابوة انه خالق الجميع
اذ الانسان القديم كان يسر ان يطلق على الله اباً اذ يدرك من ابيه
الحنان والرحمة ومن هنا جاء اطلاق اب على الله واصبحت لفظة
اب مرادفة لرب والمسيح يقول لتلاميذه : (معكم واحد
وانتم اخوة) وبما جاء في وصايا سيدنا المسيح ايضاً وقد سأله رجل

اختلاف طريقة الاداء الموافقة لعقليات الاجيال مع الاحتفاظ
بالجوهر والروح فهو ايضاً مما يقتضيه الوضع الطبيعي التطوري للامم .
وانك تجد روح العقيدة بالخالق الواحد الحق واضحة جلية
في اعرق الآثار قدماً وابعدها مكاناً نجدها في دين ادريس عليه
الصلاة والسلام منتثرة هنا وهناك تارة في الادعية المأثورة عنه
وطورا في كتب الوحي المنقولة وأخرى في تعاليمه الموزعة :
واليك هذا الدعاء الذي يدل دلالة واضحة على عقيدة الايمان بالله
الواحد لدى المصريين القدماء ، كما جاء به ادريس عليه الصلاة والسلام :
«مولاي وسيدي خلقتني وصورتني وجعلت لي عينا ابصر بها
آثار قدرتك وأذنا اسمع بها تقديسك ، الله العظيم ملك السموات
والارض وجميع الكائنات .»
وكون هناك كتب منزلة من السماء واضحة من مقالة روح

عن طريق الحياة الابدية فاجابه ، (تحب قريبك كنفسك) وفي
هاتين الوصيتين كل الناموس والانبياء : ويريد بالقريب هنا ما اراده
خاتم الانبياء من قوله (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه) اي اخيه في الانسانية كما ذكره النووي والحديث رواه
البخاري ومسلم . واليك هذه الخلاصة الانسانية الغالية التي جعلها
خاتم الانبياء دستوراً عالمياً وذلك قوله : (اخلق كلهم عيال الله
وأحبهم اليه انفعهم لعياله) راجع كتاب الجامع الصغير .
وهذا زيد بن الارقم الصحابي الجليل الذي طال جواره لرسول
الله يروي دعاءه عليه الصلاة والسلام الذي كان يردده دائماً
(اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة) .

الميت مدافعة كما هي منقوشة في أقدم الآثار « ولم يخالف الاوامر
الآلهية ولا الكتب المنزلة »

وإذا كان كريستا قد مضى عليه ثمانية وستون قرناً فادريس
وشيث عربقان في القدم لا يدري ابتداء تاريخها ولولا أن الآثار
المصرية كشفت لنا عن تعاليم ادريس ممزوجة بالاساطير لما عرفنا
عنه شيئاً ذا بال .

والان نعرض عليك ايضاً عقيدة التوحيد كما جاء بها ابراهيم
عليه السلام وجمعها رجال دينه في الهند بكتاب الفيدا - جاء
ما نصه :

« انني انا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق الذهب ووميض
البرق وصوت العاصف والاريج الذي العابق في الارحاء انا الاول
الذي لاشيء قبله والآخر الذي لاشيء بعده ملك العالمين وخالق
السموات والارض »

وجاء ايضاً: « في البدء كانت الموجودات واحداً لا ثاني له فاراد ان
يوجد موجودات كثيرة فخلق النور » (١)

ولما كنا نؤثر ان نقدم اليك عقيدة التوحيد على شرفات
الازمان المتعاقبة ، وجدنا من الواجب تقديم سر الوجدانية كما نقلت
عن سيدنا موسى (عليه السلام) قبل الرامايانا لان بوذا وان كان
جامعاً لعقيدة ابراهيم ومطهراً لما دخل عليها الا ان مجيئه بعد موسى
بنحو سبعة قرون مما يجعلنا نؤخر ذكره لبعده موسى كما ترى ...
ففي التوراة :

(١) راجع الفيدا

« انا هو الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت
العبودية لا يمكن لك آلهة اخرى امامي ، لاتصنع لك تمثالا منحوتا
صورة ما، مما في السماء من فوق وما في الارض من اسفل ، وما في الماء
من تحت الارض . لاتسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله
غيور » (١)

وفي الرامايانا :- ملحمة البوذيين المقدسة - « ايها الانسان ان
معرفة الله تنسكب اشعة وانواراً في عقلك فلا تحاول ان تراه
بعينيك الفانيتين اذ عينك لاتبصر ان الروح والدائرة اللانهائية
لاتحيط بها العينان ولاتدر كان كنهها » وفيها ايضاً : علموا ابناءكم
اسم الله الخالق لكل شيء كما تسقونهم الحليب لدى السغب فانهم
يدوقون عذوبة المعرفة قبل ان تهجم عليهم مرارة الحياة » (٢)
وفي وصايا بوذا العشر المقدسة مانصه : « تجنب الاعتقادات
الباطلة » . (٣) ويريد بالاعتقادات الباطلة تعدد الله وحلوله وجميع
الامراض التي ادخلها البراهمة على دين ابراهيم .
وانظر ما جاء به زرادشت في الحملة على عابدي الاوثان
والمخلوقات وقاركي عبادة الله الواحد الخالق اذ يقول : « ملعون
هو اول من اتخذ صنماً »

ولا عجب فقد جاء زرادشت مجدداً عقيدة ابراهيم عليه السلام
حتى ان اتباعه لما عرفوا منه ذلك قالوا ان روح الخليل ابراهيم

(١) راجع سفر التثنية ص ٥-٦

(٢) راجع الرؤيا الثامنة من الرامايانا

(٣) راجع كتاب - سومنة سليمان

تفحصته ، بل يعتقد الزرادشتيون اليوم ان ابراهيم زار ايران وبث
دعوته وسافر الى الهند ثم عاد الى فلسطين ولكن روحه بعد فساد دينه
لبست المصلح الديني الحكيم زرادشت واصلحت الدين على يده (١)
وهذا كونفوشيوس - المعلم المحترم - الحكيم الصيني المجدد
الكبير يقول :

« آمنت بالله الخالق السماء وكل شيء » (٢)

وهذا (لاوتسو) يجدد عقيدة التوحيد التي جاء بها قبله الحكيم
الصيني ليونسو المعاصر لابراهيم والآخذ عنه الذي نقل عنه قوله :
« اعتقد ان لهذا العالم خالقاً قادراً واحداً يتصف بكل صفات
الكمال وانني لا اعرف اسمه ولا استطيع اطلاق اسم عليه (٣)

(١) راجع ص ٢٤٥ من الجزء الاول من كتاب ملوك العرب للريحاني
(٢) راجع كتاب كونفوشيوس ترجمة السيد محمد مكين الصيني
(٣) لا يحب ليونسو ان يطلق عليه تعالى اسماً من اسماء البشر أو
الاوثن بل يكتفي بالايان بوجوده وقدرته الظاهرة في مخلوقاته
التي لا تحمد . ولو تأدب الناس بأداب ليونسو لما اطلقوا عليه تعالى
في لغاتهم اسماء رجال اديانهم واوثنانهم وقد ارتكب خطأ الدكتور
حتي في كتابه (العرب) اذ ظن ان العرب اطلقوا على الخالق
العظيم اسم ضم من اصنامهم (الله) ككل الامم !! على ان العربية
تمتاز باطلاقها عليه تعالى اعرف الاسماء وادلها اسماً بـكراً يليق
بجلاله وقدرته وكبريائه (الله) كلمة لم تستعمل في اله مخلوق اذ
نرى اسم الله في كل اللغات مأخوذاً من اسم ضم او انسان او حيوان
بما يدل على ان عقلياتهم لم تكن محررة من الاعتقاد بان المخلوقات

وهذا سيدنا المسيح يصف الخالق العظيم بالاله الحقيقي ويراه
وحده مستحقاً السجود والعبادة فيقول « للرب الهك تسجد واياه
وحده تعبد » (١)

وقال ايضاً: « هذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله
الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » (٢)
وهذا القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وعقلها المفكر
الذي جاء وقد تهيتت الانسانية للوصول الى رشدتها واستوفت كل

هي الله الخالق !! ، فالبراهمة مثلاً : يطلقون برهمه على الله والمصريون
يطلقون عليه (اوزيريس) واليونان يطلقون عليه الاله (المجهول)
والبابليون يطلقون عليه (بيل) وهو اسم لاحد رؤسائهم الذين
صلبوا تخلصاً من الخطيئة الاصلية والفرنسيون يطلقون عليه (ديو)
كأنه اشتقاق من (ديونيسيوس) ضم جبيل والانكليز يطلقون
عليه (كاد) وهو في الاصل آله الزهور (ديونيسيوس) ومن
اجمل القصص ان ينقب علماء الاثار على تمثال ديونيسيوس في حفريات
جبيل ثم يهتدوا اليه بعد اعوام لدى امرأة فقيرة في احدى قرى
جبيل وقد جعلته باباً لمكان بيت فيه الدجاج وقد نقل الى باريس .
انظر الحجر الذي اكتشفه الالمان في العراق عام ١٩٠٤ ونقل
الى برلين كيف يقص صلب الاله بيل ومحاكمته وطعنه وتتويجه ،
كاسياتي مفصلاً في الاجزاء الآتية . راجع دائرة المعارف الفرنسية
وتفسير الجواهر لسورة آل عمران وكتاب المراحل لميخائيل نعيمة

(١) لوقا ٤-٨

(٢) يوحنا ١٧-٣

ادواته، واستمدت بما اعطيت من امكانيات الوحي للوصول الى مثل
الانسانية العليا التي جاء بها خاتم النبيين .

اجل، جاء القرآن بالعقيدة التي جاء بها الانبياء من قبل واطحة
قوية موائة لكل الاستعداد العلمي والتطور الفكري والنظر الحر
الناقد المستريب والادراك الناضج البعيد فقال « اني انا الله لا اله
الا انا ، « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا »

« وما قدروا الله حق قدره ، والسماوات مطويات بيمينه والارض
قبضته يوم القيامة » « انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون »
وهنا يتضح لقرائنا الناقدون الباحثين في جميع الاديان ان
للعوالم والكائنات خالقاً عظيماً وأن خالقها وصانعها هو غيرها
بلا ريب، وأنه واحد ابدى ازلي موجود من قبل خلقه وانه ليس جزءاً
من خلقه ولا خلقه اجزاء منه فلا يشابه خلقه ولا خلقه تشابهه اي
فليس بنور او نار او روح او جسم او بسيط او مركب او ساكن
او متحرك بل ليس كمثل شيء . الحي القيوم قائم بذاته قبل خلق
العوالم والكائنات وبعدها . وكل العوالم والكائنات قائمة بقدرته
وهيمنتته وسلطانه وجبروته وقهره وله جميع الكمالات التي تليق
بجلاله، وله العلم الذي لانهاية له المحيط بكل ما كان ويكون مما خلق
ويخلق، وله القدرة المتصرفه في خلق المخلوقات ويجاد الموجودات
وتقدير النواميس والسنن منزه عن الحاجة عن أن يحل في مخلوقاته معها
تكن عظيمة اذ هو غيرها بلا ريب وصفاته غير صفاتها .

وقد جاء على البشرية من عالمهم الصغير البسيط أن خالقهم

هو اثنان (١) او ثلاث (٢) او اربعة (٣) او خمسة (٤) او ستة
او سبعة (٥) او تسعة (٦) او عشرون .

لانهم نظروا في جانب من الصنعة ولم يدركوا كل عجائبها
وتهاويلها ! كالذي ينظر الى ابريق من الفخار فيقول صانعه العم
ابو فلان الذي يروح ويغدو، يفلح ارضه ويجر رداءه ولا يحسن

(١) الثنوية الداخلة على دين ابراهيم في فارس بعد زرادشت .
راجع سوسنة سليمان

(٢) الثالوث طارئ على دين ادريس في مصر واليونان وعلى
دين ابراهيم في الهند وله بحث خاص تراه في الجزء الثاني

(٣) دخل على البوذية بعد اصلاح (بوذا) اذ ليس من المعقول ان
لا يدخل على الثالوث البرهمي فاضافه اليه واصبح ربوعا - راجع
كتاب تفنيد التزوير للاب لويس شيخو

(٤) الحاموس : من امراض البراهمة ايضاً - راجع كتاب تفنيد
التزوير المذكور .

(٥) السابوع : له اثر لدى البوذيين ويظن انهم قدسوا بعض
تلامذة بوذا المصطفين لكثرة ما وضع حولهم من خوارق ومسألة
التأليه بسيط جداً لديهم وهي ان الانسان يستطيع ان يتطهر بروحه
التي هي جزء من الروح الالهي الكلي فينتطهر ويتطهر من كل علائق
الجسد ومطالبه ونزعاته ونزواته حتى يرجع الى الالهية التي كان
منها في الاصل لذلك يقولون : ان عشرين شخصاً من البوذيين
وصلوا الى درجة الالهية - راجع كتاب تفنيد التزوير - ودائرة
المعارف الفرنسية مادة بوذا وسوسنة سليمان وكتاب العقائد

القراءة والكتابة حتى اذا قيل له ان العم نفسه صنع الراديو ايضاً
سلم انه هو وابقى تلك الصفات الحقيرة التي لا تليق ان تعطى
لصانع الراديو ثم اخذ تحت كابوس الموروثات يتفلسف ويتأول
اباء ان يدعن للحق والعقل بل يتفلسف ويتأول اذعاناً مقلوباً
للحق والعقل .

وهكذا البشر كلما تنكبوا عن هداية الرسل ووحى السماء
ونور الحق والهدى وقعوا في احوال الضلال والشرك وكلما نزلوا
بالصفات الالهية سقطوا مساقط المخلوقات حسب ضعفهم الزمني
وظفولية عقلياتهم !

فحين كانوا لا يعلمون الا ان الارض هي كل شيء وان الثور
يحملها كانوا لا يستعظمون حاول الخالق في الثور او البقرة
او الانسان .

وحين نظروا الى منافع النار اذ ترسل لهم الحياة والشمس اذ
تنير لهم الاجواء وتسكب عليهم الاشعة خالوها الله ! وحينما اتسعت
افاق العلم واتسعت افاق المعرفة الى مجاهل الكون قالوا : ان الله
روح وهكذا اخذوا يتطورون بمعرفة الله ووصفه بصفات المخلوقات

لعمر عناية .

(٦) التاسوع : لدى المصريين وحدهم وهو من الامراض التي
دخلت على دين ادريس لان مصر القديمة لم تعرف سواه . راجع
كتاب ديانة قدماء المصريين تأليف (استندروف الالماني) تعريب
سليم حسن - مطبعة المعارف عام ١٩٢٣

حسب تطور معرفتهم للوجود حتى صوره بعض زنوج افريقيا افطس
الانف غليظ الشفتين وصوره قدماء اليونان ازرق العينين اشقر
الوجه يتكلم اليونانية ويجلس في نعيم ورفاهية ولا يتداخل في
امر هذا العالم (١)

ولو انصفت البشرية لادركت ما جاء به الرسل قديما من صفات
الالهية اللائقة بحق خالق العوالم والوجود ولما ضل الناس وتشعبت
السبل ولما تشعبت وتفرقت بهم النحل ولما اختلفوا واحتربوا
ولما وقع شيء عما يصمي السميع ويعمي البصير!

والحمد لله الذي جعلنا نأخذ حقيقة المعرفة الالهية من اعماق
النصوص التي حفظها الله في كتبه المقدسة كما تحفظ المناجم الذهب
واعماق البحر اللؤلؤ والمرجان والكواكب الاشعة والاضواء .

اجل ، ان كل ذرة في اي عالم من عوالم الفضاء تنطق بلسان
العالم والحقيقة وتنادي : لا اله الا الله الخالق الواحد الابدي
وتعالى عما يصفه به بعض عباده من صفات لا تليق به بعض المخلوقات
بله الله خالق العوالم في هذا الفضاء .

وكم كانت افكار هذا الكتاب تتراوح في اعماق نفوسنا وثابة
مشرقة بالرضوان والمقة وكم كانت تلوح لنا في اعماق نفوس قرائنا
وهي تتراوح بالبهجة والرضا والايان بما هدينا اليه بعد تلاوتهم
لها وادمان النظر فيها والتفكير في دلائلها وما آتتها وكم سرنا ان
كنا صادقين في الجائنا فما نسبنا ما هو من عمل غيرنا وجهود سوانا الينا
بل نجهر بكل صراحة ان ما وفقنا اليه في هذا الكتاب من معرفة

(١) ستأتي مراجع ذلك في بحث الطفيليات في الجزء الاثني

حول الاديان البعيدة عنا في الشرق الاقصى كالبرهمية التي نحن
بصددها والمجوسية والصابئية والزرادشتية وسواها، ان هي الاومضات
من التحقيق الذي كشفه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (كرم
الله وجهه) اذ يقول : « المجوس أصلهم أهل كتاب » (١) وقبس
بما استفاده الأئمة المجتهدون جعفر الصادق وأبو ثور وأبو حنيفة .

وقد افاض العلامة المجدد السيد محمد رشيد رضا في هذا البحث
حيث نبه الى أن الامم التي لديها كتب دينية مقدسة : كالمجوس
والصابئة والبراهمة وأتباع كونفوشيوس واليابان ، هم اهل كتب
مشملة على التوحيد حتى الان كاليهود والنصارى .

وقال : ان للديانات الوثنية ، أصلاً سهاوياً ، ثم سرت الوثنية الى
أهلها ، (٢) والذي يدل على أن أهل هذه الاديان لم يعتبروا

(١) نجد فقهاء مذهب الامام جعفر الصادق (رضى الله عنه)
قد بنوا على قول الامام جواز نكاح المجوسيات . راجع كتاب
(الأحوال الشخصية) لعبد الكريم الحلي وتجده بدار كتب بيروت
تحت رقم ٦-٢٨-٤

(٢) قد افاض صاحب المنار في هذه الابحاث ودلائلها ،
افاضة جعلتنا نطلب الى قرائنا الذين يؤثرون التوسعة ، أن يعودوا
اليها في مواطنها من المنار ج ٤ ص ٤٢٩ و ج ٥ ص ٢٠ و ٣٥
ج ٦ ص ١٨٦ ، وأشار الى قيمتها العلامة المجتهد محمد آل كاشف الغطاء
في كتابه « الدين والاسلام » ج ٢ ص ٣٦ و ٧٣ . وجمعها محاضرات
طريفة العلامة المجاهد الشيخ عبد العزيز جاويز القاها في جمعية
الشباب المسلمين في القاهرة

كمشركي العرب الذين لا يقبل منهم جزية ، هو ما جاء عن رسول
الله واصحابه ، أنهم قبلوا منهم الجزية ، ولم يقبلوها من مشركي العرب .
والجزية ضريبة اسلامية طفيفة ، جعلها الله مقابل اسدال
سجوف الأمن على اهل الاديان ذات الاصل السهاوي ، الذين آثروا
البقاء تحت ظلال اخوتهم المسلمين ، ولفظها لا يفيد أية اهانة - كما
خال بعض المستشرقين - بل هي أجر وجزاء يدفع للساخرين على
الامن والسلام ، وأما قوله تعالى : « عن يد وهم صاغرون » انما كان
ذلك تهديداً في من تمردوا على دفعها ، وانك تجدي تهديدات الدول
اليوم للذين يتمردون على دفع الاتاوات كلمات أشد مقصودة
للارغام على الدفع .

على أن الجزية اذا قيست بضرائب الفرس والرومان قديماً ،
أو بضرائب الدول حديثاً ، كضريبة أرباح الحرب مثلاً ، اعتبرت
أدنى من الواحد خيال الالف . ونحن نذكر لك مقاديرها لتطمئن ،
مع العلم بان الاطفال والشيوخ والفقراء والرؤساء الروحانيين
والنساء ، مستثنون . وقدرها ثمانية واربعون درهماً في مدى العام
ما يعادل اربعا وعشرين ليرة لبنانية هذا لكبار الاثرياء أما
المتوسطون فيكلفون بدفع اثني عشر ليرة والعامل ست ليرات (١)
ويحسن بنا ان نذكر أن أشرف كلمة وضعها الاسلام لاهل
الاديان الاخرى وهي « ذمي » نسبة الى الذمة والشرف والعهد ،
وأنت تعلم مدى تمجيد الله للذمة والعهد . فالكلمتان شريفتان كما
رأيت ، وما أغنى الذين لا يدرسون حقائق الاشياء ، وپوسلون

(١) راجع تفسير الجواهر لسورة « براءة »

القول على عواهنه ، غير خجلين من فضيحة الحق لهم ، والله در الشيخ
اليازجي حيث يقول في معنى الذمة والذمام :

من رام أن يدخل في ذمامي يأمن من بوائق الايام
ولن يجد الباحثون الدارسون نصوصاً جمة ، في كتاب سماوي
يفرض الايمان بكل الاديات المنزلة ، وبجميع رسل الله وكتبهم
المقدسة ، ما يجدها في القرآن وفرة .

ونحن نعلم بداهة أن الله ، اذا اراد أن يبلغ عباده وحيه ،
فلن تستطيع أية قوة في العالم ، أن تحول دون ذلك .

هذه كتب الدين الهندية والصينية ، تعين أن الوحي الالهي
لا يرد ، اذ الباطل يزهد والحق يبقى ، والله يؤيده .

وهذه حقيقة مؤيدة بما بين أيدينا من كتب سماوية ، وقد
برهنت حوادث التاريخ وشواهد ، والتجربة الانسانية على
صدقها .

ها هو ذا العهد القديم يعتبر النبي الكاذب ذنباً ، وأن الله لا بد أن
يبتره « والنبي الكاذب هو ذنب يقطعه الرب » ، (١) أجل ان الله
يعلن على لسان داود أنه لا يبقى النبي الكاذب « المتكلم بالكذب
لا يثبت أمام عيني » (٢)

وقد أقام الكاتب الكبير « توماس كارليل » في كتابه
- الابطال - الآية التي يعلم بها النبي الصادق بقوله « ان الكاذب
لاتم على يده بناية دينية جامعة لكل الحيويات الخالدة » اذ الكذب

(١) راجع اشعيا ٩ - ١٤

(٢) مزامير ١٠١ - ٧

لابد أن يظهر ، وقد اكبر الناس هذه القاعدة ، واعتبروها من
ابداع الفكر المثقف الناضج ، ولكنك اذا انعمت النظر في العهد
الجديد ، وجدتها واضحة ، جلية ، في قوله « احترزوا من الانبياء
الكذبة الذين يأتونكم بشباب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب
خاطفة » (١) . ووجدته يضع حداً يمكنك أن تميز به الانبياء الكذبة
بقوله « من ثمارهم تعرفونهم » لان ثمار وحي الله لن تكون الا
معجزة ، واشجار الشوك محال أن تثمر عنياً .

وانظر الى هذه الصورة التمثيلية الرائعة ، التي يصور بها نهاية
الكذاب الفاضحة ، المبيدة بقوله : « كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيداً
تقطع وتلقى في النار » . (٢)

وهذا يوحنا اللاهوتي ، يصر بأن الرسالة الكاذبة لن تتم ،
وزاعموها لهم من الله في الدنيا النار والكبريت والهاوية (٣) فضلاً
عن نكال الآخرة .

وهذا المجلس الروحي اليهودي ، يعدل عن اعدام حوارني
المسيح لقول ذلك الحبر الفريسي الكبير « غملائيل » .
« تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لانه ان كان هذا الرأي
أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض ، وان كان من الله فلا
تقدروا أن تنقضوه » . (٤)

(١) مت ١٧ - ١٥

(٢) مت ٣ - ١٠

(٣) يوحنا اللاهوتي ١٦ - ١٣ و ١٩ - ٢٠

(٤) اعمال الرسل : ٥

وهذا خاتم الكتب السماوية القرآن الكريم يصرح بأن الله يقضي على زاعم النبوة قضاء ساحقاً .

« ولو تقول علينا بعض الآفاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين ، وانا لنعلم أن منكم مكذبين » . (١)

فالله كما رأيت من نصوص لن يؤيد الا الصادقين ، واما الكاذبون فانه يببدهم ويشتت اتباعهم ، وتاريخ الاديان ناطق بهذه الحقيقة ، فكم من متنبئين كذبة ، دق الله اعناقهم وأخذهم أخذاً وببلا ، وهدم بناياتهم ، لان فؤس السلطان الالهي مسلطة على اصول الشجر . (٢)

وهذا حق فان الدعوة الالهية لا تحول دونها الحوائل ، ولا تصدها الحواجز ، مهما كانت قوية وصلدة ، وكل الصادقين والحائلين ، انما يحاربون الله ، ومحارب الله لا بد ان يهزم !
وإذا كان في امكان وزارة المعارف ، أن تضرب على ايدي

(١) سورة الحاقة ، لاحظ ان هذا التهديد جاء في المكذبين قبل اعلانهم بالنبوءة .

(٢) راجع اخبار (بركوكبه) اليهودي الزاعم أنه هو المسيح في دائرة معارف البستاني ، واخبار زاعمي النبوة وهم : ثوداس ومسيمون وباريشوع ويهوذا في ٨٥ و ١٣ من سفر الاعمال ، واخبار الاسود العنسي ومسيمة وطليحة وغيرهم في محاضرات الحضري وكتاب « خالد » للاستاذ العلامة المجاهد المفكر محمد سعيد العرفي مفتي مدينة دير الزور

المعلمين الزائفين الذين يحملون رخصاً مزورة ، وتهدم مدارسهم ،
خشية الاضلال والافساد ، فهل يعجز الله عن ذلك ؟؟ .
لا لا : ان الله لا يؤيد المتنبيين الكذبة . ولا تنهض النحل القائمة
حجة دافعة لنصوص الكتب المقدسة ، فكل جماعة كبرى في العالم
تدين بدين سماوي في الاصل له رخصته السماوية لداعيه الاول ،
ودخول النحل على الدين السماوي وتشعبها ، ناجم عن تقادم العهود ،
واختلاف الطواريء ، والتفسير الحرفي ، اذ يصبح غير صالح للزمن
الجديد ، فتكثر فيه النحل والمذاهب ، اعتماداً على الاصل ، ومكابرة
لمناهضة الجديد ، المنزل من الله موافقاً لطبيعة الازمان (١) . يواخي
العقل ويحالف المنطق ، فهذه النحل لم تنشر باعتبارها ديناً مستقلاً ،
وانما هي كالسلع التي تنشب في الجسم الصحيح وتمتد على حسابه ،
وتمتص من قواه ، فلا تكون حجة نافضة ، وانما اتكأ مؤسسوها
على رخص دعواتهم الاول ، وقد يكتبون هذه الحقيقة في اعماق
انفسهم ، ومهما طال بهم الامر فمصيروهم الرجوع الى الاصل ،
لأن الابناء مها ندوا عن حضن الام فما لهم العودة اليه .

(١) هذا خاتم الكتب السماوية « القرآن الكريم » جاء
بقواعد ، وكليات خالدة ، كعناصر الطبيعة ، فيها كل الحيويات
والامكانيات ، الصالحة لكل الاجيال والازمان ، وذلك من سر
اعجازه وقد نبه ابن عباس الى هذه الحقيقة بقوله « ان في القرآن
معانياً سوف يكشفها الزمن » وفي الحديث « ان هذا القران
جبل الله المتين في الارض ، لا تبلى جدته ، ولا تنتهي عجائبه » وما
اصدق قول الشاعر علي محمود طه :
فغنّ به الاجيال واهتف بآية فما هو الا ملهم اليوم والغد .

وكون الاديان الالهية الكبرى، تدرجها الشيخوخة ، وتلبسها
الطفيليات ، وتكثر فيها النحل المتعاجة ، وتذويها امراض
الأساطير ، حتى تخيل للدارس السطحي، ليست اديانا الهية ، أوحاها
الله لاخراج عباده من التناحر الاسطوري (١) ، والتباغض
الاقتصادي ، هو من مقتضيات سنة التطور التي تسير بالاجيال من
كمال الى أكمل .

والوحي الالهي محال أن لا يكون مقوماً لروح الجيل الذي
يشرق فيه ، وناهض به الى ما هو اكمل ، ولكنه لا يسبق الاجيال
بأماذ شاسعة تجعله منقطعاً عن الجيل الذي نزل فيه . كما لا ينحط معه
في احوال البيئـة وبواعث الغرائز المتأخرة ، حفظاً للتوازن .
ولو أن الله اوحى للانسانية ما جاء في الانجيل او القرآـن ،
في مراحل طفولتها ، لكان عبثاً وسخرية ، كما انه لو اوحى
الى خاتم الرسل ، ما اوحاه الى الانسانية في طفولتها ، لكان في
معنى الاساطير ، كالجامعين لو طلبت اليهم أن يعودوا الى
دروسهم في حدائق الأطفال ، ومزاولة لعبها وهذيانها ، لاستلقوا
على ظهورهم ضاحكين . اذ ليس في استطاعة العقلية ، التي تتعبد
الاساطير ، وتعكف حول تماثيل الآباء والاجداد وتتخذ المكاء

(١) يعلم القارىء الحروب بين مدينة ومدينة في المملكة
الواحدة لاجل سيادة صنم على صنم ، ويعلم آلهة اليونان الاقدمين
الذين يوغرون صدور قوم على آخرين - راجع الاسر المصرية
القديمة والاباذة .

والتصدية والرقص (١) طقوساً تعبدية ، أن تهضم ماجاء في الانجيل
« فتشوا الكتب جربوا كل شيء ، تمسكوا بالحسن » (٢)
او ماجاء في القرآن « فبشر عباده . الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب »
(٣) « قل انظروا ماذا في السموات والارض . »

هل كان في قدرة علماء الدين قديماً ان يتولوا ما يقوله علماء
الدين الاسلامي « يحرم التقليد في الايمان ويجب البحث والنقد

(١) الصفيق والتصفيق والرقص والدوران ، وتعيين البسة
فضفاضة للعبادة ، وتبديلها في غضونهما ، مما كان للانسانية في طفولتها
وقد افلتت من أيدي الحقب بعضها واندرت في الاديان الاخيرة ،
حتى رأينا بين المسلمين في عصر الانحطاط - رغم حملة القرآن - من
يعبد الله بالناي والدوران : العبادة البرهمية البوذية ، وقد دخلت
مع الترك العثمانيين من دينهم البوذي القديم ، الى طريقة دعوها
« مولوية » . ابطلتها حكومة دمشق حديثاً

وانك تجد الترك الآن وقد استيقظوا من سباتهم بعد توالي
الضربات السياسية التي ألمت بهم ، وفطنوا الى عظمة تعاليم الاسلام
السياسية والاقتصادية وروحيته الاجتماعية فعادوا يكفرون عما
سلف بتعليم النشأ رسمياً مثل الاسلام العليا وقيم اسراره .

وطالما أصلى الياقوت جمر غضي ثم انظفوا الجمر والياقوت ياقوت

(٢) راجع يوحنا ٥-٣٩ واتس ٥-٢١

(٣) راجع سورة الزمر آية ١٧

ومن آمن تقليدا فهو كافر « (١)

وقد تبدو بعض الأديان الكبرى لذوي النظرات القصيرة أنها أديان وضعية ، وأن دعائها الأول جاؤا بها لاستغلال السذج من البشر وتسخيرهم لترفيه عيشتهم ، وأحياء ذكرياتهم بعد الموت ، جاؤا بها ليملؤ القلوب بأشباح المخاوف ، وخيالات الإبالسة ، والرجم والنيران ، جاؤا بها ليوهموها أن في بعض أشياء هذه الكائنات آلهة جبارة محطمة تسكنها ، ولا ترضى إلا بقتار الجثث المحروقة ، وفواح الدماء المراقبة ، وزفرات الأمهات اللاتي أخذت منهن أطفالهن وقذفوا في لظى النيران (٢) . وهي في الواقع أديان الهية ، وقصر نظرهم لا يضيرها ولا يخرجها عن حقيقتها الإلهية .

ولدى تغلغل النظر في أعماق ما يمكن أن نشق به من نصوص - سواء من طريق التواتر أو من طريق العقل والمنطق أو من طريق

(١) راجع حاشية الأمير علي الجوهرة ، والعجيب أن القديس توما الأكويني الفيلسوف اللاهوتي لم يعط العقل إلا الدرجة الثانية فيقول « آمن ثم فكر » رغم نصوص الإنجيل هذه التي تطلق للعقل سراح النقد والنظر ، وتفسح له الاختيار ، بيد أن سلفه أبا حامد الغزالي فيلسوف المسلمين ، استطاع فهم مقاصد الآيات القرآنية فقال « فكر ثم آمن » . بل جعل الشك سبيلاً للإيمان ، راجع كتاب « الخلاصة اللاهوتية » و « تراث الإسلام » و « قصة الفلسفة الحديثة » و « المقارنة بين الغزالي وديكارت » لعمر فاخوري .

(٢) كالفينيين الذين كانوا يقدمون أبناءهم قربانا للأصنام

المعالم المادية وخطوط الاحجار وشروع المؤرخين القدامى - نجد جلال روح اولئك الدعاة الاول ، وسمو مثلهم ، بله اضواء السماء ، واشراقات الوحي ، ودلائله الناطقة . فهل في اتباع الوحي ، وتأييد الحق ، والتضحية في سبيل اسعاد الانسانية ، واخلاص العبادة لله وحده ، استغلال !!

اي استغلال للداعي الاول الذي شيد اركان الدين الابراهيمى في بلاد العرب ، ومصر ، وفارس ، والعراق ، والهند ، « الخيال عليه السلام » الذي خرج من « اور » (١) مشرداً محكوماً عليه بالحرق ، وهى ذات القدم الراسخ في الحضارة ، يغادرها الى الجبال والاوودية ، آخذاً آله وذويه ومن تبعه ، (٢) الى جبال (جبرون)

(١) مدينة اورفه اليوم ، كانت منذ خمس وخمسين قرناً في اوج الحضارة ، وآية ذلك شوارعها المكتشفة حديثاً ، والعجول المجنحة ، ودقة العدد من خـوذ وسيوف واوان فضية وذهبية ، مرصعة بالاحجار الكريمة ، بل اكتشفوا دور الطبقة الوسطى من الناس وهى على اتم ما تكون الاناقة ، فقوم ابراهيم كانوا في حضارة عليا ، منحرفين في العقائد . واكثر الشعوب يداخلها الغرور العلمى والحضارى فتهمل ناحية الايمان بالخالق ، ويؤدي بها هذا الانحراف الى الانحلال الاخلاقى ، والاستهتار بالقيم النفسية فتدركها سنة الله التى لا تتحول في اباداة الشعوب لدى انحرافها ، راجع كتاب « علم الآثار » ترجمه عن الانكليزية محمود حمزة ومحمد حسن ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

(٢) لقد مجد الله اولئك المؤمنين بابراهيم الذين تركوا اوطانهم فاهضين في اعباء الدعوى بل طلب الينا أن نجعلهم أسوة في جهادنا

حيث يتروكهم للسما. وما تجود به، وللارض وما يجهدون فيها ليتبلغوا
لعاعة عيشٍ مريّر ، ثم يتوجه الى مصر وبلاد العرب وسواهما ،
يحتاز القفار ، يظماً ويسغب ، هائئاً برضوان الله ، والسعادة التي
تغمر نفسه ، وبهداية الانسانية الى وحدانية الله لتوحيد كلمتها ، (١)
واي استغلال في موسى «عليه السلام» وهو في حساب التاريخ
والتقاليد ابن لفرعون مصر ، يترك ملكاً لا بد أن ينال فيه
الخطوة والسلطان يوماً ، كما ناله يوسف من قبل لو ظل وليداً لفرعون
عاملاً على مرضاته .

يفادر مصر ونعيمها الى ضفاف الاردن ، راضياً ان يشتغل راعياً
صغيراً بأجر زهيد جهد نهاره ، وهزيعاً من الليل ، ثمانية حجج ،
لالشيء سوى تلكم الاهداف الروحية الخالدة ، التي تخر بين جنبيه ،
وترتاده ليلة بعد ليلة ، مبشرة بمستقبل روحي عظيم ، هذا ادب الله
لأنبيائه ، وتهذيب نفوسهم ، والسير بهم الى طريق النهوض
الروحي في العالم .

اي استغلال بعد ان يقضي في صحراء التيه اربعين عاماً بين
قوم يتربصون به الدوائر ، وهو يعمل لاسعادهم ، ويجيكون له
المؤامرات وهو يأتمر لخيرهم وهداهم (٢)

فقال « قد كان لكم اسوة في ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم
انا براء منكم وبما تعبدون من دون الله » سورة الممتحنة آية (٤)
(١) اشار لهذه الحقيقة المجتهد آل كاشف الغطاء والعلامة محمد
فريد وجددي والمستشرق الالماني (ماكس مولر) راجع مقدمة تفصيل
آيات القران للمستشرق الفرنسي « جول لا بوم » وغاندي
(٢) راجع سفر التكوين والخروج ، وسورتي يوسف والتقصص

اي استغلال في المصلح الديني الحكيم « بوذا » الذي آثر
الاصلاح الديني والتقرب الى الله على ولاية العهد ، لمملكة تمل.
عرض الهند عزا وجبروتا ، وطولها سلطانا وقهرا ؟ ! الا ترى أنه
آثر ان يظل تحت شجرة (١) عابدا خاشعاً ، مفكراً ستة اعوام ،
واي ذكرى يريد بها بعد ذكر الملك والسلطان ، وزينة الحياة
ورهبه الجنند ، وسمو العرش ، وخشوع الخلائق حياله ، وهجر
زلفى المؤرخين ، والشعراء المادحين ، والخطباء المقرظين ؟ !

يهجر كل ذلك ليرتدي اسماً بالية واطهاراً رثاء ، تبين خروقها
اطراف جسمه ، وهو خاشع كالملك ، يستوحى الانوار ويستسلم
الاضواء ، يريد الحق والحق وحده ، ويطلب النور والنور وحده ،
ويجهد لاسعاد الانسانية ، ورفاهيتها ، وحمد قروحها وندوبها ،
يمشي حافي القدمين ، عارى الراس ، داعياً الى الله ، هادياً الضالين ،
شجاعاً ابياً ، يقتحم عاصمة البراهمة المقدسة « بنارس » (٢) فريداً
طريداً اعزل الا من الايمان وقوى الحق ، التي ملأ الله بها قلبه
يلقي خطبته العظيمة ، صارخاً في وجوههم كصرخات المسيح في
الهيكل حين شاهد الصيرافة وباعة الحمام ، الذين جعلوا انفسهم
وسطاء بين الله والناس ، قائلاً « بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم
جعلتموه مغارة لصوص » . (٣)

(١) و (٢) دعيت شجرة المعرفة ، راجع تلك الخطبة الرائعة
في دائرة المعارف الفرنسية مادة بوذا - ، وسيأتي بحث عبادة الشجر
لدى جميع الامم في الجزء الثاني .

(٣) مت ٢١ - ١٣

هكذا ابتلى « بوذا » بكهات « بنارس » كما ابتلى المسيح
بفريسي اورشليم ، فهدم ببيانه التقاليد ، وأزال الطفيليات التي
دخلت دين ابراهيم ، طالباً منهم الرجوع الى الاصل وهم « يجرقون
عليه الارتم » (١) ذوداً عن تقاليد اباؤهم . وقد ظل هذا المصلح
الكبير منتقلا من قرية الى قرية ، ومن مدينة الى مدينة ، حتى
استقر به المقام جوار ملك تشرف بالدخول في دعوته ، فأصبح
المدبج والعرش متكاتفين . (٢)

اجل احتفى « اسوكا » (٣) بهذا الاصلاح مؤيداً له بكل
ما يملك ، وكلم ألم « بوذا » حين سمع أن موطن ابراهيم نفسه
انحرف عن تعاليمه ، فوضع النواة لنشر اصلاحه خارج الهند ،
بل ما كاد يغيب شبح « بوذا » حتى راينا مبشره يجوبون الشام
والعراق وفارس والبلقان ، ولا يزال اسم « هضبة بوذا » علماً
على المدينة المشهورة « بودابست » وقد سادت هناك عقيدة ابراهيم
اجيالاً ولم تنكمش الا بانتشار المسيحية . (٤)

(١) كناية عن شدة الغيظ

(٢) المراد بها الدين والسياسة

(٣) ملك دخل هو وذووه حظيرة « بوذا » وامر بنقش
اصلاحاته على الحجارة ، ونهض هو واتباعه لاذاعتها خارج الهند
فارسوا المبشرين لمواطن ابراهيم « الشام والعراق وايران » راجع
تاريخ « طوائف الملوك » لدوزي و « سوسنة ملبان » ورحلة يوسف كمال
ودائرة المعارف الفرنسية .

(٤) راجع كتاب « اذا ملك اسرائيل » طبع العرفان

ولما رأى أتباعه من غيرته على أصول دين إبراهيم ، التي زيفها
الكهان ، واضلواها بين ركام أساطيرهم ، قالوا : هو الشخص العاشر
الذي تقمصته روح إبراهيم (١) ، والمراد من التقمص في الواقع
ما نريده من التشبيه البليغ ، إذ نقول عن الفقيه ، المجتهد في المذهب
الشافعي ، « شافعي زمانه » أو « يوحنا مارون » إذ يضاف يوحنا
لمارون لأنه جاء مجدداً لفكرته وبينها قرون ، (٢) أو كما يخاطب
القرآن الكريم مريم العذراء « يا اخت هارون » ، وهو طبعاً
لا يقصد أخوة النسب ، وإنما أخوة العبادة والروح ، كما يقولون
للكريم « يا اخا حاتم » وللشجاع « يا اخا عنتره » فهو تشبيه لها ،
أما بهارون نفسه أو باخته مريم وهي لا تقل عنه عبادة وصلاً
حتى أطلقوا عليها « مريم النبوية » (٣)

(١) راجع كتاب « ملوك العرب للريحاني ص ٢٤٥

(٢) ستأتي ترجمة مفصلة في بحث الديانة المسيحية ومذاهبها

ومصطلحاتها وعظاء رجالها في الأجزاء الآتية الخاصة بها .

(٣) استعمل العبرانيون لفظة (النبوية) بمعنى الصالحة راجع

عد ١٢-٤ وخروج ١٥-٢٠ ولو ٢-٣٦ .

وقد ظن بعض الجاهلين في اللغة ، أن القرآن يقصد أخوة

النسب ، فراح يسوق النصوص من الإنجيل ، على أن العذراء من

ذرية هارون - كما هو الواقع - بيانا لتوحيه الآية ، راجع لوا -

٣٦ و ٥٣ وأما نسبة المسيح إلى دارود فمن طريق يوسف النجار ، كما

جاء في مت ١-١٦ ويقصد بها التبرية والتبني راجع عب ٧

واي استغلال في المعلم المحترم (كونفوشيوس) الرجل الذي
ذاب فكرا منذ صغره ، لاصلاح الشعب الصيني العريق ، والقضاء
على الاساطير التي اندمست فيما اتى به الرسل كعبادة الملائكة
والارواح والجبال والانهار، (كونفوشيوس) الذي آثر الانقطاع
للدروس والاصلاح على وظيفته الرسمية العالية ، ورضى بالكفاف
ليقوم بالواجب المقدس . اذ فيه خلاص الانسانية وتوجيهها الى
الخير والمحبة .

أي استغلال في مصلح قضي حياته مشمراً عن ساعديه، في نفع
الاعداء والاولياء قائلًا : (لان يضيء احدكم شمعة خير من ان
يسب الظلام) .

أجل . قضاها ولم يعمل لمصلحة شخصه قط ، وبين يديه ثلاثة
الآف تلميذ ، انقطعوا للدراسة ، اصلاحاته والعمل بها وكم كان
يحذرهم بقوله :

(لا يعمل احدكم الى مصلحته الشخصية فانه يورث الحقد عليه)
أي استغلال في مصلح يرى في نفسه لهفة لاقتباس الفضائل ،
واجتناب الرذائل قائلًا :

(كل ذي فضيلة قدوتي وكل ذي رذيلة عبرتي) وكم كان يتنأى
عن الافكار المنحطة وخواطر السوء حثاثة نلامينه على ذلك بقوله
(لاتفكروا في خواطر الشر فانها تفضي بكم اليه) ولم يمت

(١) لهذا المصلح اثنان وسبعون تلميذا خاصا هم رجال مجلسه وموطن
شوراه ، وذريته للان تتمتع بامتيازات الاشراف في كل الامم .

حتى ذخر لاصلاحه خلاصة (١) مختارة من الاف تلاميذه . هم الذين
أشادوا بنيته الفخمة التي لاحت في أبراجها وتلاآت على محاربيها
روح دين ابراهيم الذي نادى به المصلحون في الهند والصين وفارس .
وأي استغلال في (لاوتسو) المصلح الصيني الذي المه ان
يقدر قومه جبالهم واحجارهم ومياههم وحيواناتهم ، ؟ معتقدين
أن الخالق العظيم روح يحل في كل هاتيك الاشياء . المه ذلك فنهض
يدعو الى عبادة الله وحده ، مستضيئاً بما اقتبسه من دين ابراهيم .
وكم قضي لبياليه با كيا اسي على شعبه الجاهل الرازح تحت عسف
حكام هم خدمه ، وعلى حسابه يعيشون . اجل بكى اسي ، ولكن
بقلب ابي شجاع ، ونفس جبارة مستعدة للتضحية والنضال
ها هوذا ينادي شعبه : (ان تعلمت قضيتم على الدولة الغاشمة)

وهذه صراحة تكشف ما للعلم في نفسه من وزن .

(لاوتسو) ولي المراقبة الذي لم يمل التفكير في عظمة الخالق

وتريد اسمه ، وتسيجه اناه الليل واطراف النهار .

(لاوتسو) الذي جعل الحياة سبيلا عمليا للوصول الى (النرفانا)

بالذوبان في التعاليم المقدسة .

(لاوتسو) الذي افهم تلاميذه ان المادة جعلت لتقويم النفس

وتهديتها ، افهاماً عملياً ، فأنفق كل ما اجتمع لديه في سبيل الله ،

والمثل الانسانية العليا . فكانوا مصلحين مجاهدين قضوا على

الاساطير والاباطيل .

(لاوتسو) الذي قال : ان الله ليس بروح يتسرب في الاشياء

تسرب النور في الظلام ، ولا الارواح تتسرب فيه . بل هو خالقها

فحسب ، وانما افهمهم أن التسرب والذوبان يكون في كنهه
الوحي ، واسرار تعاليمه . بهذا الروح سما قومه ، وما أسفوا الا
حين انتكسوا الى تقديس الجبال والاحجار والانهار ، انتكاساً
جعلهم يتركون روح الذوبان العملي في التعاليم ، الى وهم الذوبان
الخرافي في ذات الله « النرفانا » .

* * *

وقد سرت عدوى هذه الفكرة الى اليونان حتى افتن بها
(افلوطين) ودلته اطيافها المسحورة ، فتعمق في استغرافاتها
وتواجدها وقال ما لم يقله متأخرو الطاويين ، اذ اعلن أن الانسان
يستطيع ان يتسرب في الذات الالهية قبل الموت ، وقد تم له ذلك
مراراً . (١) وقد الفينا هذه الفكرة مستطارة في بعض هوسى
الباطنية ، وانك تجد اثارها في تركة اديبنا العربي جبران خليل
جبران بصورة قوية واضحة (٢) .
ونحن لنا كبير الامل في شباب الطاويين المثقفين الذين يدعون

(١) قصة الفلسفة الحديثة .

(٢) راجع ما كتبه ميخائيل نعيمة عن جبران وعن رثائه
لاخته تسمع امثال هذه الكلمات : الله قام ، الله قعد ، الله مرض ،
الله مات ، . . . الخ ، ونستغفر الله . . . وسيأتي هذا البحث
بشواهد ودلائله واثره في اديان العالم كله بالجزء الثاني .

للرجوع الى الاصل الذي ربه (لاوتسو) من بنى (ابراهيم)
الدينية العالمية ، ويجارون فكرة أن الله روح يحل في الجبال
والاحجار والمواسي ، والترهب والانقطاع للذوبان في ذات الله .
نرحب باصلاحهم ونري انفسنا وايهم مستظلين بأفشاء شجرة
واحدة. هي شجرة الخليل ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) . وقد بارك
جهودهم فيلسوفنا العلامة طنطاوي جوهرى في تفسيره ، بمجداً
جهادهم ونقدم الشيوخ الذين يصعدون على قمم الاطواد
عاكفين حول النصب والتماثيل (١) .

اي استغلال في سيدنا المسيح (عليه الصلاة والسلام) الذي
يتحدر آله من اشرف اسر الاسرائيليين واحفلهم بالقداسة والحرمة
واذخرهم بالرعاية والاكرام .

رسول كبير من أولي العزم يهجر شعبه وهو الذي علم
(فريسيه) ولم يسلم الثانية عشرة من عمره (٢) متجافيا عن كل
اسباب المجد والثروة والسلطان ، وبهجة الحياة وزينتها ، يهجرهم

(١) راجع حاضر العالم الاسلامي ، ودائرة المعارف الفرنسية
وتفسير الجواهر لسورتي (الفرقان والبينة) .

ولما كانت الذات الالهية علمها في لغة اللاوتسين (تاو) فقد
نسبو الى هذا العلم ، ولما كانت (التاء) مفخمة قلبها المرحوم الامير
شكيب أرسلان (طاء) فقال في النسبة لها (الطاويون) وعلى هذا
درج ميخائيل نعيمة في كتابه (المراحل) وسواهما .

(٢) مرقس ٢-٤٨

للعبادة والعكوف في رؤوس الجبال حيث لا يعلم به أحد ، شأن
الرسول ، ضارعاً مناجياً ربه ، منتظراً الساعة التي يخلص فيها
شعبه ، المتناحر في سبيل مرضاة الرومان ، والتجسس لهم لنيل
فضلات موآئدهم ، ونبذهم باليسير بما يعبونه من خيرات بلادهم ،
مدرعاً بجبروت العقيدة ، وان كان اعزل ، ثياب بره وان كان مترباً .
وهذا شأنه بعد اعلان رسالته ، فانه ما زال يقضي ليله ونهاره ، بين
اتباع صيادي اسماك معدمين ، وعشارين (١) . ولكنهم اغنياء اطهار
بما حفلت قلوبهم من ايمان .

وكم حاول اعداؤه أن يوهنوا من عزائمه فيندروه ، بفاجعة
« يحيى بن زكريا » (٢) أن تصيبه على يد « هيرودس » ان لم يكف ، فيثور
كالعاصف الهبوب مستهيناً بهيردوس ودولته قائلاً : « قولوا لهذا
الثعلب ها أنا اخرج شياطين » (٣)

(١) مت ١٨-١٧ ومر ٢-١٦

(٢) لم يكن قتل « يوحنا » لاجل « هيروديا » في الواقع
وانما هو تهديد سياسي مباشر لدعوة المسيح وأرهاب لتلاميذه .
راجع مت ١٤-٣ الى ١٣ والذي يدل على ذلك احاطة
الجواسيس والارصاد بالمسيح ومحاولتهم ايقاعه تحت طائلة القانون
بقصة اقامة الحد على المرأة وقصة ما لقيصر لقيصر راجعها في
يو ٨-٣ ومت ٢٢-١٧

(٣) لو ١٣-٣١ يقصد هنا شياطين الاستعمار اذ كلمة شيطان
تطلق على الارواح الشريرة من الجنّة والناس وعلى الجرائم
والامراض الاخلاقية والجسمية وكل مؤذ ، كما سيأتي في فصل
الروح لدى جميع اديان العالم .

اي استغلال وقد أجرى الله على يده المعجزات ، من احياء
موتى وشفاء مرضى وتكثير طعام واخبار بالمغيبات (١) وهو لا يملك
كوناً يأوي اليه حين يأوي الناس الى منازلهم ويستريحون . بل يظل
وهو الرسول العظيم ، مشرداً من شعاف جبل الى اعماق واد ، ومن
حوله عيون الرومان من سفلة قومه ، يتأمرون عليه مع العدو ،
وهو غير مكترث ، يقيم موائد السماء أنى يجد الغرثى ، ويسكب
أضواءها على القلوب المظلمة ، ويطهر أحقاد الصدور بسلسيل الحب
الصافي وغيره المتدفق الطهور .

ولن تجد في عينيه الكبيرتين المستوعبتين لعظمة العوالم وجلال
خالقها ، أضال من الدنيا وزخارفها ، المتهاففة في الفناء ، الخادعة
لصغار النفوس ، وذوى المتربة الروحية .

اجل ، لن تجد أضال منها في عينيه ونفسه الكبيرة الطافحة
بالروح والمعرفة والايمان اذ يقول لقومه ، وهم يحسبونه أرسل
ليجرر لهم الدنيا ببهجتها ، وطرفها وسلطانها (مملكتي ليست من
هذا العالم » (٢) .

(١) أخبار ذلك مستفيضة في الانجيل والقرآن واجراء المعجزة
بمنابة قوله تعالى « صدق عبدي » وهذا « نيقوديموس » أدرك ذلك
حيث قال للسيد المسيح « نعلم انك قد أتيت من الله معلماً ، لان
ليس أحد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن
الله معه » راجع يو ٣-٢

(٢) يو ١٨-٣٦

وأى استغلال في « سيدنا محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم » الداعي الى الحقيقة العليا التي جاهدوا في سبيلها ، اذ يهجر أندية قومه ليتوحد في غار حراء المتنائي بين الأودية والسهوب المتأبدة الهوجاء ، مستغرقاً في عبادة ربه بصباية ما بقي من الحنيفية السمجة دين جده الحليل ، مكثفياً بقليل الزاد ، وجرعات الماء مفكراً في اصلاح الانسانية المتناحرة ، وعلاج أخلاقها المتداعية ونفوسها المتحجرة .

أي استغلال في رسول من أولي العزم ، يقف في وجه قومه الأباة الجبابرة ، الذين لا يكثرثون للحياة بل يرون الموت بالمرهفات والعوالي شرفاً ما فوقه شرف . وكم ائتمروا به ليدودوه عن تقاليدهم وأوثانهم وروحهم القبلية المجرمة ، التي جعلتهم أوزاعا في الارض ، وشيعاً مستضعفين ، وعبداناً للروم والفرس والحبشة ، من حيث يعلمون أو لا يعلمون . وهو غير عابئ بهم يعلن بطلات آهنتهم ، ويمعن في هدم ما ورثوه عن آباءهم ، مغامراً في الدعوة الى الله ومكارم الاخلاق ، والهدى والحق ، وجمع كلمة الانسانية . أي استغلال ، وقد أعطاه الله القرآن « الخارقة الأبدية » (١)

(١) أفعال الله كلها خوارق ، أي لا يستطيع البشر فعل مثلها ، فوجود الكائنات والعوالم السابجة في الفضاء ، هي خوارق دالة على وجوده تعالى فحسب ، وانما خضوعها لنواميسها واستمرارها في أداء وظائفها ، جعلها طبيعية ومعقولة في نظر المشاهدين ، ولو وجدت على غير هذا النظام وهذه النواميس ، لكانت ايضا في

التي هي آية استمرار رسالته العالمية ، « خارقة » لم تكن محدودة
تؤمن بها ثلثة تشاهدها ثم تروى فيصبح الايمان بها تقليداً ، « خارقة »
تحدى بها المشرع والسياسي والمصلح والعالم والفلكي والقائد

نظرهم طبيعية ومعقولة . اذن فالطبيعية والمعقولة انما جاءت لهم
لأن الله أوجدها كذلك . فمن هنا كان الايمان بوجود الله واجباً
عقلياً ، والايمان التقليدي لمن استطاع النظر والاستدلال غير مقبول .
وأما الايمان بالرسول فان الله يقيم لهم خوارق تناسب أزمانهم
وأجيالهم ومدى رسالاتهم ، فالعصا كانت تناسب السحر والسحرة ،
وكانت حقاً آية خارقة جعلت الفنين من السحرة يؤمنون برسالة
سيدنا موسى ، مستعذبين العذاب ، لادراكهم آية خارقة هي . نعم
هي خارقة وقتية لأن رسالته لم تكن خاتمة الرسالات الالهية ،
ليعطى معجزة أبدية . وأما روايتها لمن لم يشاهدها فتفيد الايمان
التقليدي لا اليقيني ، وقل مثل ذلك في خوارق الرسل المروية .

ولما كان الله ارسل سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)
برسالة عالمية أبدية وجعله خاتماً للرسول ، أعطاه معجزة أبدية عالمية
وهي « القرآن » من أجل ذلك لا ينبغي الايمان بالرسالة المحمدية
تقليداً ، لأن معجزته الناطقة الدالة على صدق رسالته ، قائمة محسوسة
لانها للانسانية ابدية ، بعد أن أوفت الى رشدنا العلمي ، وتحكيم العقل
والمنطق في كل شيء ، فهي وحدها المعجزة الابدية التي تعطي الايمان
اليقيني ، موثمة لروح العصور الحديثة التي لا تؤمن الا باليقين . اذن
فالايهان بالخوارق المروية ايهان تقليدي ياباه العقل الحر المفكر .
وأغرب ما نسمع أن أناساً يدعون للخوارق المروية « تقليداً »

والفاتح ... بكل ما يمتازون به من معرفة مطردة متجددة ، وهو
القائل لرجل دخل عليه مرتعداً « هون عليك أنا لست بملك ، أنا ابن
امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

أي استغلال . وهو الذي يقول لقومه : « والله لو وضعت القمر
في يميني والشمس في شمالي ، مارجعت عن هذا الأمر ، أو اهلك دونه »
يقولها مستهيناً بكل مفاتنهم وقواهم حتى لو بلغت بهم أن يتسلطوا
على نواميس الكون وسنن الوجود ، وينتزعوا الشمس والقمر ،
لما صرفته عن دعوته .

أي استغلال في رسول يرضى هو وأصحابه قسوة الحصار ، وشظف
عيشه ، ثلاث سنوات ، حتى تباغوا ورق الشجر الجاف ورنق الماء ، يرضى

ويأبون مستعبدين للتقليد ، الايمان بالقرآن خارقة الخوارق ومعجزة
المعجزات « وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على
ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

ومن هنا لو سألنا سائل ، ما هي الحجة على صدق رسالة ابراهيم ؟
لقلنا : عدم احراقه بالنار ، فلو قال الخوارق في الكتب لا تحصى وهي تنسب
للكثيرين ، فهي لا تكفي للايمان اليقيني . هات ارنى النار التي
لا تحرق كي أو من ايماننا يقينياً ، لقلنا : ان الله لم يجعل نار ابراهيم
باقية الا لأن رسالته لم تكن خاتمة الرسالات .

وسيمربك في الجزء الثالث مجموعة من البحوث ، حول الخوارق
في الاديان وفي العلم والفلسفة والواقع ، مع ذكر اوثق المصادر وأصدق
النظريات العلمية ، والفرق بين معجزات الرسل وسحر السحرة .

كل ذلك فرحاً مستبشراً، اذ يستشف سمو التربية الالهية من وراه
قسوتهم وطغيانهم ، ويرى مستقبل الانسانية الحافل بالهدى والنور،
ويرى نفس محاصريه مؤمنين ناهضين في سبيل الدعوة ، وقد كان .
أي استغلال في رسول يقضي نجهه ، وجيشه العرمرم الضخم
مجهز لرد عدوان أذئاب الروم من عرب الشام !! ودرعه مرهونة
على صاعٍ من الشعير لبعض يهود المدينة ! بما ادّهش العلماء وحير
الفلاسفة والمفكرين ، وانطق شاعرنا العربي ابا محمد ماروت بك
عبود فقال :

يا من يموت ودرعه مرهونة قد دست مجد الاصفر الرنان
اللهم هؤلاء رسلك ، وأولياؤك الذين أدبتهم فأحسن تآديهم ،
وهذبتم فأحسن تهديهم ، وملأت قلوبهم ايمانا بك ، وعمرتهم
بالحب والتسامح الانساني العام ، وقدستهم وأعليت منازلهم ،
وجعلتهم قدوة للانسانية ، ومعالم نور وهدى .

اللهم انا نرفع ابتهالات صلواتنا ، وتوسلاتنا ، الى جلالك
راجين أن يكون لنا من حظوظ الدعوة ، وجلال الأسوة بهم ،
رضواناً منك ورحمة .

اللهم انا نقدم قلوبنا بين يديك ، ذخراً لدينك ، وانتصاراً
للحق ، وحباً للانسانية ، وتقديساً للرسول وايماناً بالجزاء .

اللهم انا نرفع ازكى صلواتنا للرسول جميعاً ولخاتمهم سيدنا محمد
الذي أنزلت عليه وحيك المعجز ، ذلك الرسول الذي
عطانا عنان الحربة ، وأوجب علينا البحث والنظر والتفكير ، وجعله

عباده لك (١) وزخر قلوبنا ايماناً بكل رسلك وأنبياؤك من علمنا
منهم ، ومن لم نعلم (٢) . وفرض علينا احترام كتبك ، وجعلنا
انسانين نخشع حيال مثل الانسانية العليا ، التي أوحيتها قدساً
لنفوسنا ، وطهرةً لأرواحنا وسلاماً ووحدة ومحبة ، ونجاةً من
جبروت المادة ، وتمردتها واستخفافها وكبريائها وتقاطعها ، اذ كل ما
تملك من تسامح ومودة انسانية عامة ، وايمان بكل أديانك
ودعاتها الأول ، ومجددي ما وهن من حصونهم ، رشفة من روحه ،
وقبسة من أنوار شريعته .

اللهم ان الانسانية ما انحرفت عن وحيك ، ولا تنهات عن
رسلك ، الا أصيبت بشلل الروح ، وعقم الخلق ، ومرض الضمير ،
وسلاطة اللسان ، وبذاعة الوجدان ، وسوء العاقبة ، حتى أعدبعضها
لبعض الحديد والنار ، وقنابل الأوباء ولهب الذرّة : ابتسام

(١) جعل الاسلام التفكير في أسرار الكائنات ، والغايات
الوجود والاهتداء الى أعماق النواميس وكشف الحقيقت ومعرفة
عظمة الخالق وقدرته وجلاله وما يليق به من كمال ، من العبادة
وقد طلب الينا عبادة التفكير في مواطن كثيرة فقال « ان في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، آيات لاولي
الالباب » (سورة آل عمران)

(٢) « ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك » « سورة غافر » « ورسلاً قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » (سورة النساء)

مصنوع بالكيد ، وطلاقة في الوجوه ، على جهامة في الأرواح ،
وانكماش عن الهدى ، وقسوة في الضمائر . ألسنة عذاب تنشد
أحسان الفجر في بسمة الورود ، وأغاريد الطيور ، على خير
الينابيع ، ونوايا سوداء مكفهرة ، فيها أشباح المقابر ، وأسلاء
الجثث ، وظلمات الرموس ، وسموم الأفاعي . حياة كحياة الجحيم .
السعادة فيها شقاء ، والشقاء فيها سعادة ، والكذب فيها صدق ،
والصدق فيها كذب ، والتنكر فيها أنس ، والأنس فيها تنكر ،
التجديف لاكتساب الشهرة إيمان ، والإيمان بالله الذي يهدي إليه العلم
وسنن الوجود ككفر .

* * *
ونود أن نلفت نظر قرائنا إلى الأسباب التي نركز عليها ،
لدى الحمد الذي نتقدم به إلى المصلحين والمفكرين الاجتماعيين
ملخصةً فيما يأتي :

(١) عمق العقيدة بالله مع الاحسان الخالي من الوسائط
والاساطير .

(٢) الجهاد في سبيل جمع كلمة الانسانية ، وتوحيدها حول
هذه العقيدة السامية ، جهاداً زاخراً بالتضحيات والأعمال
الكبيرة الخالدة .

(٣) طهر النفس وسمو مقاصدها ، وتقديم دنيائها قرباناً على
مذبح أهداف الروح العليا ، ولو لهداية معدم (١)

(١) قال رسول الله وخاتم الأنبياء « صلى الله عليه وآله وسلم »
لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، وفي
رواية خير مما طلعت عليه الشمس .

(٤) عمق الفكر وتقدير العلم ، تقديرأ مقصوداً لظهار الحقائق
وبناء الايمان وازالة الأسداف .

(٥) الاصلاح الذي يقصد به العمل الدائب للرجوع بالدين
الى منابعه الأولى الصافية الخالية مما تواطأ عليه المحرفون ، وأسهب
به القصاصون .

* * *

اذن : فقراؤنا حينما يروننا نمجد شخصيةً ، فانها لن تخلو من
اجتماع بعض هذه الصفات التي جعلناها دستوراً لما نأخذ أو ندع .
ومثلنا كمثل طالبي اللؤلؤ يغوصون اليه في كل بحر ، ولا
يكثرثون لما يعانون من قصف أنواء ، وعصف رياح ، واصطخاب
غوارب ومخاوف ، في سبيل ما يطلبون .

وصفوة القول : انا نمجد الحماسة في هذا العصر قد بلغت أوجها
وأخذت تدفع المفكرين المصلحين في العالم ، أن يدرسوا الاديان
الكبرى دراسة علمية ، فيها كثير من الحب والاخلاص والفهم
العميق ، بل اخذوا يجرمون الكتابة في دين ما سهلاً .

واننا سمعنا من أعلا منارات الهند ، صوت الزعيم (غاندي)
يطلب الى اخوته المسلمين أن يدرسوا البرهمية ، متأملين في صلاتها
الوثيقة بالاسلام ، منذ أبعد الازمان .

ولا ريب أن مثل هذه الدراسة ، تحمد لظى البغضاء ، الذي
يوقده النفعيون المنتهزون وقوداً يمزق أشلاء الوحدة الانسانية ،
وبديم قطيعتها .

وقد استيقظ الى هذا الواجب المقدس ، حكيم الشرق
(السيد جمال الدين الأفغاني) لدى زيارته الهند فدرس البرهمية
على أفصح نطاق ، متعمقا متساحماً وكان له من علمائها خيرة
الأصدقاء .

وهذه الثورة الروحية الاصلاحية ، التي تحكي في قداستها
فار ابراهيم ، قد اعتلجت في قلوب أكثر زعماء العالم ، والمصلحين
المفكرين ، اعتلاجاً جعلهم يمهدون سبيل الوحدة الانسانية ،
بتأييد الدراسة الدينية العالمية .

ولعل الذي أذكى أوار هذه الرغبة ، في كل أمة ، هو بركان
الذرة الذي يوشك ان ينفجر فتقع « الصاخة » .

وان تلك الثورة التي في أنفس أولئك المصلحين ، هي كبيرة
في انفسنا ، وجليلة في اعيننا ، بمقدار الشفقة التي تملأ قلوبنا ،
لأولئك الذين سدت في قلوبهم مسام الرحمة ، وتقبضت على جشع
التملك ، وعرام التسلط ، فأخذوا يجهدون الليل والنهار ، في مصانعهم
ينسجون من الحديد والنار ، اكفان الموت الزؤام ، كدود القز ،
وهم لا يشعرون .

ايها المصلحون الأطهار ، الموت والحياة ، والنور والظلمة ،
والحق والباطل ، والانسانية والفردية ، والروح والمادة ،
تصطرعان في العالم ، فليس للحياة من بقاء الا بكم ، اذ أنتم
ابتسام الاماني .

وها نحن اولاء نقدم لكم اول اشعاع مقدسة ، يهدي الانبياء
من سلسلة كتبنا السعيدة بالحب الانساني العام ، والروح الديني

العالمي ، وانتم على كلا الحالين منتصرون ، لان الاقدار الالهية المتعمدة بحفظ المصلحين ، ما انهزمت يوماً في وجه المنحرفين حتى ينتصر هؤلاء بالمادة على الروح .

هذا، هذا محال ! وليغلبهم تفكك الذرة وليبتلعهم جحيمها (١)
« وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز » (٢)
وكم اوجعنا مقتل المصلح الروحي العظيم « غاندي » (٣) اذ فجع
الانسانية في اوج مجدها الروحي ، واطهر امانيتها الخيرة . انها
لم تنس جهاده لأعادة البراهمة الى مثل دين ابراهيم ، والقضاء على
فكرة النبذ المدسوسة عليه .

وكم طلب عملياً الى قومه من براهمة ، ومسلمين ، (٤) وسيخ ،
ان يرجعوا الى الوحدة الدينية التي تؤلف ذات بينهم ، فصلي

(١) راجع مصاب مدينتي « ناغازاكي وهيروشيا » في محاضرة
« الذرة » التي القاها في رحلة ونشرها المهندس السيد علي الحجار
(٢) سورة الحشر .

(٣) راجع جريدة « بيروت » عدد ٢٩٥١ وتاريخ ٢١ ربيع
الاول ١٣٦٧ و ١ شباط سنة ١٩٤٨

(٤) فرقة من البراهمة مؤسسها يدعى الغورو نانك ١٣٦٩-١٥٤٦
كانه يضرب على وتر « بوذا » بالعودة الى تعاليم ابراهيم ، وأتباعه
الآن خمسة ملايين ، وسيأتي تفصيلهم - راجع كتاب (الباكستان
دولة اسلامية » منشورات دار المكشوف بيروت ١٩٤٧

الصلاة الاسلامية (١) ، وساوى المنبوذين (٢) بنفسه حائناً للجميع على دراسة الأديان (٣) ليفهموا ما فهم ، فكبر على الذين يحسبون ذلك غير ما جاء به برهمة .

وقد ذهب غاندي الى ربه وظلت هذه الروح قوية ، في أنفس المصلحين والزعماء ، ماثلة في قبلات الزعيم الكبير ، « نهر » لقديمي غاندي قبيل حرق الجثة ، وقطرات الأسمى ، التي تفجرت دماً قانياً في كلمات الرثاء ، التي ألقاها زعيم الباكستان ، ومشيد قاعدة مجدها ، مولانا « محمد علي جناح » .

وكم كنا نود أن تصل سلسلتنا هذه الى يده ليرى أي نداء انبعث من صميم روحه فأثار كامن وجداننا .

ولئن فاتنا ذلك فافانقدمها الى الشعب الهندي العريق ، الى الزعماء ، الى الرجال الروحانيين ، الى كل من يدين بالوحدة الروحية في العالم .

أجل نقدمها ونحن نعتقد أن بيت ابراهيم في قلب الاسلام يربطنا بالبرهمة منذ آلاف السنين ، وهما نحن أولاء نختتم كلمتنا بتوديد ذكره ، مع أمير شعرائنا :

(١) راجع ما كتبه الأديب البيروتي تقي الدين الصلح في جريدة أخبار اليوم المصرية .

(٢) سبأني بحشهم .

(٣) راجع جريدة « المصري » عدد ، ٣٧٤٢ وتاريخ ٨ ربيع الاول ١٣٦٧ و ١٩ يناير ١٩٤٨ .

على افرينز (رجبوتا ن) تمثال من المجد
 نبي مثل (كونفوشيو س) أو من ذلك العهد
 قريب القول والفعل من المنتظر المهدي
 شبيه الرسل في الذود عن الحق وفي الزهد
 لقد علم بالحق وبالصبر وبالقصد
 وجاء الأتفس المرضى فداواها من الحقد
 دعا الهندوس والاسلام لآلفة و الود
 بسطاط من الروح يقوي رائض الاسد
 وتوفيق من الله ونيسير من السعد
 وحظ ليس يعطاه سوى المخلوق للخلد
 وانا نوثر سبيل الرسل ، ونحن نقحم أسداف الحقب ،
 مكتشفين هدى الوحي الالهي . نوثره ، وان اعتاد القراء أن يسمعوا
 ضوضاء الحصومات ، والتراسق بالسقطات الطفيلية على الاديان .
 وكل المؤمنين يعتقدون أن الله ما أوحى الى رسله سوى ما
 يوجب الالفة والمحبة ، اما التقاذف بالسيئات والقطيعة ، فهو من
 امراض انفسنا .
 وهذا المذهب يجعلنا نستخرج الخير ونأتسي به ، ونتنكب
 الشر لانه واغل مبدد للشمل .
 أجل ، هذا مذهب الرسل « صلوات الله وسلامه عليهم »
 واليك النصوص القطعية الدلالة نعرضها تباعاً :
 هذا خاتم الكتب السماوية « القرآن الكريم » تجدد فيه
 « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فیسبوا الله عدواً بغير

علم ، كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم الى ربهم مرجعهم فينبؤهم
بما كانوا يعملون « (١)

وهذا خاتم الرسل سيدنا محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول:
« من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت » (٢)
وهذا سيدنا المسيح «عليه الصلاة والسلام» يقول: « ان كل كلمة
بطالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسياً يوم الدين » (٣)
وهذا المصلح الحكيم «بوذا» يقول «الحيدر لا يفوه الا بالخير» (٤)
وهذا «لاوتسو» يقول: «سكت عن الشر فنجوت» (٥)
وهذا «كونفوشيوس» يقول: «لأن تضيء شمعة خير من
أن تسب الظلام» (٦)

(١) سورة الانعام .

(٢) رواه مسلم .

(٣) مت ١٣ - ٣٦

(٤) قام مذ خمسة وعشرين قرناً مجدداً ما وهن من بنى ابراهيم
وأتباعه الآن خمسمائة مليون في الهند والصين واليابان وجاوى ...
النخ . راجع كتاب «جغرافيا آسيا» للدكتور كامل نصري ص ٢٢
(٥) قام باصلاحه قبل ستة وعشرين قرناً ربما ما اقامه «ليونسو»
من صرح تعاليم «ابراهيم» وأتباعه الآن في الصين نحو مئة مليون
« راجع كتاب صفوت الاعتبار لمحمد بيرم التونسي ص ١٧ - ٢٣
(٦) قام باصلاحه مذ ستة وعشرين قرناً ومذهبه دين الدولة
الرسمي مذ ٢٢ قرناً ، وأتباعه الان في الصين نحو خمسين مليوناً
« راجع كتاب الحوار » .

وفي العهد القديم (توراة) « لبتكم تصمتون صمتاً يكون ذلك
لكم حكمة » « سكت عن الخير فتعرك وجمي » (١)
وهذا سيدنا ادريس « عليه الصلاة والسلام » يقول : « لم أوثر
الشر على فعل الخير » (٢)

وقد نجم عن مرض أهل الأديان بالطفيليات انتحار الوحدتين ،
الدينية والانسانية ، - الواضحتين في كل كتاب - على مذبح
الافانية والجهل .

أجل ، فرسل الله جميعاً كالحلقة المفرغة ، تجمعهم وحدة الايمان
اوئلاً واوآخراً ، كما تجمع اتباعهم ، اذ طلبوا اليهم ، ان يتقيدوا
بهذا الايمان الجامع ، وإنا نقيم لقرائنا الدعائم التي يشيدون عليها
طمأنينة قلوبهم .

هذا أقدم الرسل سيدنا ادريس (عليه الصلاة والسلام) جاء
في تركته « آمنت بالكتب الالهية المنزلة »

وهذا سيدنا ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) تجدد في تركته الموزعة
في ، البرهمية (٣) واليهودية والبوذية والطاوية والكونفوشيوسية

-
- (١) راجع سفر ايوب ١٣-٥ ومزامير ٣٩-٢
(٢) راجع كتاب قدماء المصريين ، المذكور آنفاً
(٣) البراهمة الآن في الهند مثتان وخمسة وعشرون مليوناً
راجع كتاب « جغرافيا آسيا » للدكتور كامل نصري ص ٢٢-٨٧

والزرادشتية (١) والمسيحية والاسلامية ، الدعوة الى الايمان بمن
جاء قبله : كشيث وأدريس ومن يجيء بعده .
وهذا موسى «عليه الصلاة والسلام» ، تجدد فيما نزل عليه من وحي
الايمان ، بمن جاء قبله ومن يجيء بعده من الرسل بنصوص لا تحصى .
وهذا المسيح (عليه الصلاة والسلام) يعلن تصديقه بما جاء به موسى
والانبياء ، ويبشر بخاتم الرسل فيقول : « لا تظنوا أنني جئت انقض
الناموس او الانبياء ، ما جئت لانقض بل لا أكمل » (٢) ولو لم
يتحقق مجيء خاتم الرسل بعده ، لما ذكر لاتباعه العلامات التي
يمييزون بها النبي الصادق من سواه ، كما سلف ، ولما جاء في انجيل
يوحنا (٣) ، ان قوماً اتوا يحيى بن زكريا قائلين :

- ايليا انت ؟

- لا

(١) قام زرادشت بدعوته منذ ٢٦ قرناً واستظلت برايته فارس
وبعض العراق والشام والبحرين والحجاز وكان محل الجامع الكبير
في حلب معبداً لاتباعه ، فنقلصت رايته منذ دخول جيوش المسلمين
بلاد فارس ، ولهم بقية هم نحو أربعائة اسرة جنوب فارس وسبعين
الفاً في بومباي وجاليتان في زنجبار وعدن ، وقوم في العراق
والشام معروفون (باليزيدية) يمتون اليه بصلة ، وهو مجدد لدين
ابراهيم ، راجع كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، وخطط
الشام ، ورسالة عبدة الشيطان وتاريخ الريحاني .

(٢) مت ٥-١٧

(٣) يو ١-١٩

- المسيح انت ؟

- لا

- النبي انت ؟

- لا

وفي هذه الكلمات بشارة واضحة بايليا والمسيح والنبي (١)
وهذا خاتم الرسل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يطلب
الى الناس بلسان الوحي ان يؤمنوا برسل الله جميعاً ، بمن عرف
الناس ومن لم يعرفوا :

« ولقد ارسلنا من قبلك رسلاً منهم من قصصنا عليك ، ومنهم
من لم نقصص عليك » (٢) .

فياجبنا بعد هذه الايات البيّنات ، والدلائل الواضحات ، نتخذ
من رسل الله وكتبه المقدسة ، حراباً مسمومة ، نمزق بها وحدة
الايان بين الرسل ، وبالتالي الوحدة الدينية والاجتماعية بيننا .
أيجمل بنا بعد هذه النصوص ، أن نكفر ببعض الرسل ونؤمن
ببعض ، ونقبل على هذا الوحي ، ونعرض عن ذلك ؟ لالشي مسوى
أننا ورثنا هذا عن آباءنا واجدادنا ، ولم نوث ذلك !
لا لا ، إن رسل الله جميعاً ! اخوة متحابون ، وإن وحي الله

(١) لاحظ (أل) التي للتعريف : مما يدل أن البشارة بخاتم
الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مستيفضة ، وسترى ذلك
بدلائله العلمية الجمة في بحث بشارات الرسل بعضهم ببعض
(٢) غافر .

جميعه حق ، وانا نحن الممزقون الجناة ، تقليدا ووراثة وجهلاً
بقيم العلم والمعرفة ، والعقل والمنطق والانسانية والدين . (١)
أما يفكر أهل الاديان جميعاً ، وأخبارها وسدنتها وعلمائها ،
أن عدم دراستهم وحدة الوحي الالهي في عالم الأديان ، ونبذهم
الايان بها ، هو ما أثار روح الاحاد في كل أمة ، وفتن النشأ عن
الايان ، إذ رأوها في ظاهرها بعيدة عن أن تكون من الخالق ،
لأن عقولهم أبت أن تصدق ، أن الله الذي خلق الخلق يريد لهم
التمزيق والتفريق وايغار الصدور .

وانا نعلن موثيقنا - التي تعاقدنا عليها ، نصحاً لأهل الاديان
جميعاً وحباً في الانسانية ، وتأسياً بالرسول (عليهم الصلاة والسلام)
ورغبةً في مرضاة الله - بأن نواصل جهودنا في اخراج هذه السلسلة
الدينية العالمية ، التي تكشف وحدة الوحي الالهي وضياءً نقيماً
صافياً كما انزله الله في منابعه الاولى .

نعلنها وقلوبنا ارسخ ما تكون ايماناً بأن أنبل ما يقوم به
المصلحون الانسانيون ، هو تضديد كلوم انسانيتنا الحديثة ، بما
يبذلون من جهود في اذاعة أمثال هذه البحوث ، اذ لا يتم بناء
انساني موحد ، بغير بناء روعي موحد ! وهذا لا يتم الا بالعودة الى
روح الوحدة الدينية الخالية من شوائب الانسان ، وكدورات
افكاره ، وتأويلاته وتفسيراته ، واختلاف أغراضه وشهواته .

(١) لقد صدق ابو العلاء بقوله :

اذا كنت في كل الأمور مقلداً لماذا ترى أعطاك خالقك الفكر

والذي جعلنا نغامر باعلان هذة المواثيق ، هو تفاؤلنا بما فوجئنا به من تأييدات من وافاهم نبأ اعدادنا هذه الاجزاء - ولما تصدر - ثقة منهم بحاجة الانسانية اليها .

واكبر اعتقادنا أنها ستلاقي حقها من العناية والاكبار ، بعد درس بحوثها والتغلغل في فهم اهدافها ، فهي تحمل فجر الأنبياء ، واشعاع اضوائه ، وعبيق رياحينه المفتّرة ، بعددجى الليالي الخالكات .
وكم يسعدنا أن تفهم الأمة الانسانية أنها أمة الرسل الكرام ، وأن الرسل ما اعترفوا بأمة سواها (١) ، وأنهم ما جاؤا الا لوحيدتها وترفيه عيشها ، لتنعّم بأقداس الوحي ، وفيوضات أنواره وطيبات الرزق الخالية من السحت والعسف . « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٢) .

* * *

(١) هذه حقيقة عرفها كل اهل الأديان ، حتى قال علماءنا : ان الانسانية جمعاء هي أمة خاتم الرسل ، فمن أجابوا الدعوة ، أطلقوا عليهم (أمة الاجابة) ومن لم يجيبوا ، اما لعدم بلوغهم اياها أو بلوغها على غير حقيقتها ، أطلقوا عليهم (أمة الدعوة) . ويريدون بذلك ، أن عدم ايمان امة الدعوة ناشيء عن عدم بلوغها لهم على وجهها الصحيح ، فعلى أمة الاجابة أن تقوم بهذه الدعوة قياماً حتمياً ، لأنهم هم المسؤولون عن أخوتهم ، وما أنفقت الاموال في وجه أفضل من هذا الوجه اذ فيه توحيد كلمة الانسانية .

(٢) الانبياء

ولعلنا لانعدم أناساً ينحرفون عن هدى الانبياء ، ويستوحون
أحقادهم ضارين صفحاً عن كل نوايانا الطيبة ، بمعنين منقبين ليظفروا
بما يظفيء أوار قلوبهم ، رغبةً في تمزيق الشمل .

وهؤلاء اما أن يكونوا جاهلين بقيم الوحي الالهي المودعة في
هذه السلسلة ، واما أن يكونوا منتهزين متاجرين على أكتاف
الانسانية الممزقة ، ويؤلمهم أن تجتمع كلمتها ، حرصاً على المرعي
الحصيب .

اما نحن فمن يريد أن ينال منا ، فانا نقدم له مغفرتنا سلفاً
تأسياً بهدى الله الآتي :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ، واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاماً واذا مروا باللغو مروا كراماً » (١) .

« احسنوا الى مبغضيك ، وصلوا لاجل الذين يسيئون
لكم إن أحببتهم من يحبكم أي اجر لكم » . (٢) « لقد
وهبتكم السماء الغفران فاغفروا » (٣) .

« لا يحزنني أن يجهل الناس قدري ، انما يحزنني أن اجهل قدر
الناس » . (٤)

« طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ، وفي

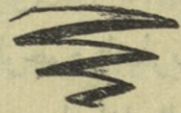
(١) سورة الفرقان ٦٣ و٧٢

(٢) مت ٥-٤٤ و٤٦

(٣) بوذا - الرويا الثامنة من الرامايانا

(٤) كونفوشيوس كتاب الحوار

طريق الخطاة لم يقف ، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس . (١)
ويكفينا ويكفي الإنسانية عظة وإشارة الكلام الطيب وبالأحرى
عن الأديان ، أن نختتم هذه التوطئة ، بهذه الآية الكريمة :
« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً ، كلمة طيبة كشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في السماء ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » . (٢)



(١) عهد قديم مز ١-١

(٢) سورة إبراهيم ٢٣ و٢٤

الناموس

أو أصول الوحي الالهي في الاديان

نعتقد أن جمهرة قرائنا اذا انعموا نظرهم في طبيعة العوالم ،
يجدون لها نواميسَ وسننا يسمونها طبيعية أو فطرية ، وذلك لأن
الله فطر عوالمه عليها وطبعها وأجرى عليها أقداره ، فهي لاتنفك
وفق مقتضياتها وهيمنتها .

بيد أن هناك ناموساً أعلى من كل هاتيك النواميس وأخذ ،
الاهو ناموس الايمان الاعلى ، المتعلق بكنه الخالق العظيم ، وحقيقة
معرفة ، كما هي في الواقع ونفس الأمر .

أجل تتغير نواميس الوجود الفطرية بتغير الوجود ، وتداعي
العوالم وانتثار الكواكب ، وانطفاء الشمس والاقمار ، أما ناموس
الايمان بكنه الله فهو سرمديّ ، دائم لايجول ولا يزول ولا يتغير
ولا يتبدل ، سواء ظلت العوالم أو زالت ، وسواء وجد من يفقه
ذلك ، أو لم يوجد . لانه متعلق بالله الخالق السرمدي الذي لايجول
ولا يزول ولا يتغير ولا يتبدل .

نعم ناموس الايمان به تعالى ، وبما أوحى من دين على رسله
جميعاً له دلائله وشواهد ، من نواميس الكون وسنن الاجتماع ،
وهو يتجلى في عشرة أصول : أربعة تجدها في أعماق نواميس الكون ،
وستة ظاهرة في سنن الاجتماع واليك هي :

١ - الايمان بوجوده تعالى قبل وجود العوالم ، لأنها صنعة وهو الصانع ، ولأنها مخلوقة وهو الخالق . والايان بوجدانيته ، لأن التعدد من شأن المخلوق ، وما جاءت فكرة التعدد الا بعد ادراك المخلوق معنى التعدد ، من الكائنات المتعددة بين يديه ، والا كان الله ولم يكن معه شيء .

هذا الأصل العظيم ، هو ما تنطق به طبيعة العوالم ونواميسها ، بعد العلم بأسرارها ، وأبعادها واتساعها ، وهو روح الاعديان الالهية جميعا ، والحقيقة الاولى فيها ، كما سيوافيك مستفيضاً في جميعها (١) ٢ - الايمان بالرسول تدل عليه حاجة المخلوق الى كمال معرفة الخالق ، وهذا لن يتأتى لمن يجهل الصنعة واتجاه نواميسها ، وقد مرت الحضارات المتطورة ، واتسع نطاق العلم ، وامتد الى معرفة الكثير من العوالم والسنن ، بالنسبة لما كان يجمله ، ولكنه في الواقع لا يزال في العتبة الاولى من معرفة صرح هذا الوجود الفخيم ، ووراءها عتبات وأبعاد تحتاج الى حضارات وأجيال باحثة متبتهلة ، للعلم والمعرفة .

إذ فنقص معرفة الانسان بحقيقة الكائنات محقق ، ولن يكون معه كمال المعرفة بحقيقة المكون فلا بد من الوحي الالهي ليدرك الانسان كمال الصانع ، والله الذي أتقن كل شيء صنفاً محال أن يترك هذا الانسان غارقاً في أحوال ظنونه ، وظلمات أوهامه ، بالنسبة للعقيدة بوجوده ، اذن فلا بد من الرسل ليلغوه الايات

(١) كنا نحاول افراد جزء خاص بها ، وقد كففانا ذلك الكاتب الكبير الاستاذ العقاد .

الصحيح والمعرفة الصادقة .

والذي يدل على ضرورة هذا التبليغ ، أن الانسانية ما
انحرفت عن حقيقة الوحي الالهي في معرفته تعالى ، أو حرفته ، أو
تجاهلته ، أو تناءت عنه ، أو زهدت فيه ، أو حاربتة ، إلا ستطت في
احد أمرين مخيفين :

أما أن تعبد المخلوقات سواء كانت معنوية أو مادية ، من ارواح
وملائكة وجن ، وشموس و كواكب وأبقار ونار ومياه ، إذعانا
لغريزة الايمان الفطري ، التي أودعها الله في طبيعة التركيب الانساني ،
وإما كفرٌ بوجود الخالق اغتراراً بالذاتية المضمحلة في غمار الوجود ،
وهؤلاء يظنون في حرب دائم بينهم ، وبين غريزة التدين ، وكل ما
يدفعون به ثورتها من معاذير ، أن البشرية تعبد عوالم الوجود ،
بل تعبد افكارها وأوهامها ، حين تعبد الخالق الذي اتخذته من
بعض عوالم الوجود ، ولكنهم لو وجدوا الهدى ، الالهي كما جاء به
الرسول لما انحرفوا ، اذ تأبى ذلك فطرتهم مادامت سليمة .

٣ - الايمان بالبعث :

هو عين اليقين لان الارواح أصبحت تناجي العلماء في نوادهم ،
حتى استفاضت معرفتها بينهم ، واكثروا في ذلك المؤلفات ، واذا
لم يكن الابقاء على الارواح بعد تداعي الاجسام ، للانتقال الى
العالم الثاني فلماذا هو ؟ ! والعلم قديماً لم يصل الى ادراك الأرواح
وكنه البعث ، إذ لم تتوفر لديه كل الوسائل والحريات للدرس ، التي
توفرت اليوم ، اذن فلا بد ان تكون معرفة ذلك من طريق
الوحي ، على أننا لانزال في اول ومضة من ومضات المعرفة وأول فسحة

من فُسحات الحرية ، وبعد ذلك ستكون اشراقات وحرريات
لا تنتهي ، ناهيك والوجود كله ليس فيه عبث ، فان كانت كل
المقصود من خلق الانسان أن يُحطم ويعدم اعداماً أبدياً بالكيفية
التي يزعمها الدهريون فذلك هو كل العبث المنزه عنه خالق
الوجود . (١)

٤ - الايمان بحب الانسانية العام .

غريزة اودعها الله كغريزة الايمان به تعالى ، نجدها في الحيوانات
أيضاً ، وقد رأى العلماء خوار الثيران اذ تشاهد ذبيحاً منها .
ولما كان الانسان الفطري عاجزاً عن تنظيم الغريزة ودوافعها
تنظيماً انسانياً عالياً ، يكفل التأخي العام ، جاء التنظيم من
طريق الوحي الالهي .

والانسان مهما تطور وثقف ومهما ابتكر من دساتير ، فهو في
حاجة الى الوحي ، اذ هو وليد القوميات ودوافع الغرائز ، ولا
ريب أن الانحراف عن الوحي يودي بأواصر الاجتماع الانساني .
ها هو ذا الوحي الالهي منذ اربعين قرناً ، ينادي الانسانية على
لسان ابراهيم ، الى الالفة والاجتماع من كل فج عميق ، وبلاد نائية ،
ليضربوا باقدامهم التخوم التي يضعها الاقوياء لاستغلال الشعوب ،
وتمزيق الكلمة : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » (٢) وضرب ابراهيم

(١) يرى افلاطون معرفة الله وخالود الروح شرطين لازمين
للمدينة الفاضلة ، وصقراط حين موته يتحقق ذهابه الى قوم أصلح .

(٢) سورة الحج .

للتخوم بتقديمه مستفيض في تركته .

هذا المصلح الابراهيمي « بوذا » يقول: « لاتضع حداً بين أمة وأمة » (١) اذن فابراهيم امام البشرية الروحي الموحد مذكات ، « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتتهن ، قال اني جاعلك للناس اماما » .

٥ - القتل

الحياة حق منحها لهذا الانسان ، فليس لاحد أن يسلبه اياعا ، وحفظاً لها ، خلق فيه غريزة حب الحياة ، وغريزة الخوف ، وغريزة الدفاع عن النفس ، اذن فهي شيء عظيم جدا ، بل اذا أنعمنا للنظر في مجموع الغرائز ، نجدها تؤدي لغرض واحد هو حفظ الحياة ، وحياة كل فرد لها كل هذه الاعتبارات المقصودة في اصل الخلق ، والاعتداء عليها اعتداء على كل ذلك ، والانسان عالم مستقل ، فاعتبار حياته في صميم الاجتماع ، لاتقل عن اعتبارها في صميم التكوين ، فالمجتمع الانساني بأسره لا يستطيع ان يعيد حياة اي

(١) راجع الرؤيا الثامنة من « الرمايانا » وهذه مسألة معروفة

في الاديان ، حتى ان سيدنا المسيح قرن العشار بالوثني وكان يجالس العشارين محاولا اصلاحهم فانتقده احبار اليهود فقال « الأصحاء لا يحتاجون الى طبيب » ولما رأى المسلمون محاربيهم يأخذون من تجارهم عشورا اذا دخلوا بلادهم شكوا ذلك الى امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه فكتب (خذوا من يأخذ منكم) فهي مقابلة الضرورة بالمثل واما وضع الحدود واخذ العشور بين المسلمين انفسهم بل ومسلميهم فجزيمة .

فرد ، وأقل استهتار بحياته ، استهتار بحياة المجموع ، من أجل ذلك اعتبر قتل الشخص الواحد قتلاً للإنسانية جمعاء ، لأن الجراءة والاقدام على هذا الحق الذي لا يكون الا لله ، هو نفسه اذا استعمل في اعدام الجميع ، اذن فالقتل محرم بمقتضى نواميس الاجتماع تحريماً أدياً ، وهكذا تجده في الوحي مطلقاً .

٦ - الزنا : خلق الله الغرائز وجعلها مندفعةً اندفاعاً طبيعياً تلقائياً غير محتاجة الى الادراكات العقلية لدى مزاولتها ، ولما كان بقاء الانواع ، واستمرار الحياة ، من مقاصد الارادة الالهية العليا ، جعل الله غريزة الميل الجنسي فطرية في كل ذي حياة ، وهي وإن كانت لها امتيازاتها علواً واسفاً وفق درجات الاحياء ، الا ان هدفها الاعلى واحد وهو بقاء الانواع .

ولا ريب أن الوضع الفطري لمطالب هذا الابقاء هو حسب مقتضياته ! فالميل الجنسي القطيعي جعل للحيوانات الدنيا كالذئاب والحمر والكلاب والحنازير !! واكلاً للقصد منه كانت التنائي طبيعياً بينها ، والميل الجنسي السامي جعله الله للحيوانات العليا ، كالحمام والاسود !! ولما كان الانسان اسماً الأنواع وأرفعها تهديباً ، زوده الله بالعقل ، وجعل لميله امتيازات لانجدها حتى في الحيوانات الراقية !

نعم غريزة الغيرة المقصودة للذود عن حقوق الاختصاص ، وإن كانت في الحيوانات الراقية ، الا انها في الانسان محاطة بالتهذيب نعم قد تضعف الغيرة في بعض الشعوب المتوحشة (١) لتأثير

(١) راجع جريدة النضال البيروتية تاريخ ٤ شباط سنة ١٩٤٨

وعدد ١٩٨٧ للعام التاسع .

بعض الاوضاع البيئية، فتسقط المعنويات السامية في بعض الأسر،
على أن مثل هذا السقوط نجده في الاسر المتحللة، التي أخذت من
الحضارة حظها الوفور .

ومن هنا يمكنك أن تدرك هذه النتيجة التي تعرض عليك
الانسان وهو في أسنى درجات الحضارة، وأحط دركات الوحشية،
في ثوب واحد، مادام متجافيا عن وحي السماء، ومثله العليا وتهذيبه،
على أن هذا التحلل الخلقي في كل امة، بداية التحلل السياسي المحتوم
٧ - الكذب .

الواقع هو الحقيقة، والله سبحانه زود الانسان بالحواس الخمس
لادراك الواقع .

فالصدق هو التحدث عن الواقع كما هو مدرك بواسطة الحواس
والعقل، وأقل انحراف مقصود للتحدث عن غير الواقع هو الكذب،
خدمثلا هذه سفينة راسية في ميناء، وادر كتبها بجواسك فحين تحدث
عنها حديثك المطابق للواقع هو الصدق، ولما كانت أي انحراف
عن الواقع، يؤدي الى اختلال سواء من جهة العقائد النفسية، او من
جهة المعاملات في المجتمع، وهذا الاختلال له أضراره البالغة، كانت
من الطبيعي تحريم الكذب، وتحريمه اجمعت عليه الرسل وهو اصل
من اصول الناموس !!

٨ - السرقة .

أودع الله غريزة حب التملك في الانسان، والغريزة في سلبها
هو جأء عاصفة، اذا لم يكن لها حواجز من التشريع، تكفكف من

طغيانها وتهذبها ، وتسيرها وفق المصلحة ، أي تعطيها حقها ، وتأخذ
حق الغير منها !

من اجل ذلك كان من الطبيعي في كل أجتاع ، ان يحترم الملك
الشرعي احتراماً تفرضه ضرورة الاجتاع ، وكل خرق لقدس هذا
الاحترام هو إثم ، اذن فالسرقة اجترام محرم بمقتضى سنن الاجتاع ،
ولن تكون في يوم مباحةً لان ما حرّمته السنن الاجتماعية كما
خلقها الله لن يكون حلالاً ابداً ، فان صح أن يأتي يوم يبقى الوجود
وقد تخلفت سننه ، يصح أن يأتي يوم يستقيم الاجتاع ، وقد ابيحت
السرقة ، من اجل ذلك كان تحريم السرقة احد اصول ناموس الوحي
الاهي العام .

٩ - احترام الابوين .

انك نجد غريزة الابوة والامومة الطبيعية ، توجه قوى الابوين
وجهودهما لرعاية اطفالهما ، وحفظ حياتهم ، ولن نجد بين الغرائز ما
يشاكل هذه الغريزة ، في تكاليفها واعبائها الفادحة ، فهي سنة
طبيعية ، وناموس فطري ، فكان من الحكمة أن تنشأ حياتها سنة
اجتماعية ، وهي اكرام الابوين ومحبتهم ، والسعي في خدمتهم ، وطلب
رضاهما ، تقابل السنة الغريزية تماماً لحفظ الحياة ، وتنظيماً لبقاء
الاسرة ، وتوثيقاً لاوراشر المحبة والالفة ، لانها من عناصر
الناموس الابددي .

وانك تجد الشرائع الالهية منذ أيامها الاول الى يوم اختتامها
بالقرآن ، طافيةً بالحث على طاعة الابوين كما سيمر بك مفصلاً .
١٠ - اليوم الاسبوعي .

جعل الله الاجتماع غريزة في كثير من الحيوان كما جعله غريزة في الانسان ، ولما كانت ادراكات الانسان اوسع مجالاً ، وأجدي عائداً ، كانت غريزة الاجتماع ، لها اثارها الكبيرة ، حتى في سنن الاجتماع !

فأي حاجة من حاجات المجتمع ، سواء في عصوره الحجرية او الحديثة لاتم الا بالاجتماع ، والوحي الالهي في كل الاديان ، جاء مطالباً الرسل وامهم بفريضة اليوم الاسبوعي التعبدي ، اذ به تعالج روح الفرد والجماعة ، وتطهر من امراضها الاسبوعية .

وليس من المعقول أن يقضي الانسان كل ايام اسبوعه في اجتماع مفروض ، وهو مطالب بأسباب المعيشة وتديبر الحياة ، من أجل ذلك ، كان هذا الاجتماع يوماً في الاسبوع ، ولكن الوحي الالهي لم يجعله يوماً بعينه لكل الرسل خشية أن تعبد الامم !! ولم يفتن ابو العلاء المعري لهذا الحكمة فقال ساخراً .

لنا جمعة والسبت يدعى لأمة أطافت بموسى والنصارى لها الاحد (١)
كما لم يفتن يهود يثرب لحكمة تحويل القبلة الى بيت ابراهيم ، إذ خالوا ان الله لا يقبل الصلاة الا الى الجهة التي يصلون اليها ، ولو فطنوا الى أن الله ليس له جهة لما اعترضوا ، على ان القلب الانساني اينما توجه يجد الله « أينما تكونوا فثم وجه الله » وانما المقصود من وحدة التوجه في الدين الواحد النظام والجمال .

(١) سيأتي في الجزء الثالث ابحاث ضافية لاصميا عن فرقة السبتيين

بحسب جمهرة قرائنا الآن بالغبطة تحالج نفوسهم ، والرضا يملأه
قلوبهم ، لما عرفوا من أصول الوحي الالهي العشرة ، كما تؤذن بها
طبيعة الوجود ، وفطرة الاجتماع . وكم تُرَبِّي في أنفسهم الغبطة ،
ونضاعف الرضا ، حين نعلنهم أننا ما كُشفناها من تركة ادريس ،
« عليه الصلاة والسلام » التائهة في مجاهل اختلاف اللغات ، ولا
نفضنا عنها طلائم خرافات الكهان ، وغيوب الاحداث ، ولا
انتزعناها من مخالب القرون التي طوح بها الزمان ، حتى تقرح
ما قينا درساً ونظراً نابشين ، مدافن الآثار ، واعماق الأسفار .

أجل ان ادريس « عليه الصلاة والسلام » هو الرسول الذي
زار هذا العالم قبل الخليل بأحقاب ، وترك ثروة روحية هي مفخرة
وذكرى ، وهي وان بعثت في ظلمات النواويس ، فقد توفقتنا
لجمعها واستخلاص أصول الوحي العشرة منها ، لأنها ظفرت بنقشها
على الأحجار ، بما لم تظفر به تعاليم الرسل من قبل ، وقد وجدنا
آثاره الكبيرة في مصر والصين واليونان والفرس ، وهام اولاء
قراؤنا يجدوننا نبادرهم بها :

الاصل الاول من الناموس الايمان بالله الخالق الواحد

ان الايمان بالله الخالق الخفي « أموت » ، الذي ليس هو
من أشياء الكائنات المرئية ، متجلٍ من تركة ادريس المحفورة في
الآثار المصرية الى اليوم . اذ جاء « آمننا بالله الواحد الخفي » (١)

(١) كل ما تجده مما يتصل بتركة ادريس راجعه في كتاب
« قدماء المصريين » و « تفسير الجواهر » .

فقد أرسل ادريس لمحاربة الالهة المتخذة من أشياء الكائنات ،
كما أرسل الرسل من قبل ، وبعد تطاول الزمن ، بالغت الاجيال
في تقديس ادريس واكباره ، وتوجيه الضراعة اليه ، والاستنجاد به ،
والدعاء له ، فيما يطلبون ، حتى خرجوا به عن انسانيته ، ورفعوه
الى درجة الالهية ، وقد وضع غلاة الكهان قصصا كثيرة في
تأليه حتى قالوا : « ان الكتب التي أوحاها الله اليه ، انما كانت
منه واليه » .

وإذا أخذت تدرس هذه الكلمات الحقاء تجدها تسربت ، الى
دين ابراهيم ، اذ دعا في الهند وغيرها الى عبادة الخالق الواحد رب
الكائنات : « براجاباتي » ، ولكن تقديس الكهان وتوسلاتهم ،
ومبالغت الأجيال ، جعلت إبراهيم ، هو الله ! ونسى اسم
« براجاباتي » كما نسي في مصر اسم « أمون » ، فقال الكهان
« إنما أوحى برهمة إلى نفسه » وهذا جرثوم مرض الشرك
الطاريء المزمين .

هذا هو الأصل الاول من الناموس ، وإليك بعض الأدعية
المحفوظة لدى المصريين من تركة ادريس : « مولاي وإلهي أنت
الذي خلقتني وصورتني وجعلت لي عينا أبصر بها آثار قدرتك ،
وأذا اسمع بها تقديسك ، أنت الله العظيم الواحد ، مالك السموات
والأرض وجميع الكائنات » .

وها نحن اولاء نرى الأرواح واقفة بين يدي إدريس للدينونة ،
متبرأة من الشرك بقولها : « لم أجدف » .

٢ - الأصل الثاني من الناموس « الايمان بالرسل » .

هذا الأصل تجده واضحاً في قول الأرواح لدى المحاسبة : « لم
أخالف كتب الوحي المنزلة » . والأرواح تعلم أن إدريس جاء
بوحى منزل من الله، وتؤكد للحكمة، أنها لم تخالف تلك الكتب.
ونكف هنا من الأسباب ما استطعنا، ونطلب الى قرائنا، أن
يمهدوا قليلاً ويرجعوا إلى الفصول المسهبة التي نقلها الفيلسوف العلامة
طنطاوي جوهرى في تفسيره الجواهر ، والنصوص المجموعة من
شئ آثار المصريين القدماء ، والآثار المكتشفة ، في الصين
واليونان . لأن رسالتنا لا تحتل كل ذلك الأسباب .
٣ - الأصل الثالث من الناموس « العالم الثاني » .

نحسب قراءنا سيجيئون أعينهم في هذه الصفحات باحثين عن
الأصل الثالث في عقيدة إدريس ، ويسرنا أن نهمس في آذانهم ،
أن الأهرام آية مادية على الايمان بالعالم الثاني ، كما جاء به إدريس
للمصريين ، فهم يحفظون الجثث ويحفظونها ، لأنهم لا يعتقدون أن
الأرواح وحدها تبعث ، وأنها تلبس أجساداً جديدة يخلقها الله ملائمة
للعالم الثاني ، بل يعتقدون أن نفس هذه الاجساد تبعث ! وما ترك
الأرواح لها، إلا فرصة تستريح بها قليلاً من عناء الحياة ومتاعبها !!
على أنا لانجد الايمان بخلود الأرواح والحساب والعقاب والعالم الثاني
والجنة والنار، في دين كما نجد في تركة إدريس لدى المصريين القدماء (١)

(١) ومن مبالغاتهم في عقيدة البعث ، جعلوا يتركون في
نواويس ملوكهم تماثيل غادات مقطوعات الأرجل ، إذ يعتقدون
أن الروح حينما تهبط تحيي حتى التماثيل وخشية فرارهن جعلت
أرجلهم مقطوعة ، وكان هذا بعد الكف عن ذبح الفتيات على
قبر سيدهن لبيخدمنه !!

٤ - الأصل الرابع من الناموس « محبة الناس »

هذا الأصل تجده ماثلاً في دفاع الروح عن نفسها بين يدي « محكمة الأرواح ». وعن أي شيء تدافع الروح ؟ انها تدافع عن التعاليم السامية التي أوحاها الله لأدريس ، وقيدها شعبه ليكونوا إنسانيين متحابين ، قلوبهم مفعمة بالروح الانساني العام ، والمواظبة على التمرس بالأوامر التي فيها تحقيق ذلك ، ها هي الروح تقول : « لم أفتر . لم أش . لم أظلم أحداً . لم أسيء إلى إنسان قط . لم أوثر الشر على فم الخير . بذلت خبزي للجوع والمأثي للعطاش كسوت العاري . لم أعامر دنياً . لم أرفع نفسي فوق مرتبتها . لم أغش إنساناً . لم أخسر الميزان . لم أطف الكيل . لم أحنث في يميني . لم اشتد مال غيري . لم أخالف الأوامر الالهية ولا الكتب المنزلة . لم اغتصب شبراً من أرض . لم أتلف أرضاً زراعية . أنا طاهر ، أنا طاهر ، أنا طاهر . وبما أني مبرأ من كل هذه الآثام . أرجو أن أكون من الفائزين » .

لعل قراءنا يمدون أن نختصر لهم البحث ما استطعنا ، ما دام الاجاز يفضي إلى المقصود ، من أجل ذلك نشب بهم الى النصوص التي وردت في بقية أصول الناموس وثبا .

اجل تقول الروح :

٥ - « لم اقتل نفساً ولا حرضت أحداً على ارتكاب القتل » .

٦ - « لم أزن . ولم أسته امرأة قريبي » .

٧ - « لم اسرق » .

٨ - « لم أكذب » .

٩ - أما احترام الابوين ، فانا نجد المصريين القدماء يقومون بهذا الأصل بفرابة ، فهم لا يكتفون بالوفاء لهم في حياتهم ، واکرامهم والاصغاء الى نصائحهم ، بل ينتقلون معهم إلى المقابر ، ويقيمون الأيام والليالي حولهم ، وينحتون لهم التماثيل ، ويقدمون ارواحهم ، حتى بالغوا في تقديسها مبالغة أفضت بهم الى عبادة ارواح الاسلاف (١) .
١٠ - اليوم الاسبوعي : إن احفل الايام الاسبوعية ، في الاديان ، يوم قدماء المصريين الاسبوعي إذ كانوا يجتمعون في يوم السبت الذي ورثه منهم الآشوريون اجتماعاً حاشداً في أضخم المعابد ، المشيدة باسم ادريس وللمباغتة في تقديس هذا الاجتماع حرّموه على الصعاليك ورعاة الخنازير (٢) .

* * *

رأى قراؤناكم عانينا من جهود ومشاق ، حين استخلصنا أصول

(١) عبادة ارواح الاسلاف احتلت في العالم صفحات عديدة ولا تزال سائدة لدى بعض متوحشي افريقيا « فيتش » وبعض الصين واليابان وسيام وما يفخر به تاريخ المصلح « كونفوشيوس » وقوفه ، في طريق الاستغراق في التفكير بالروح بقوله « إذا كنا قليلي المعرفة بالجسم ، فكيف نحاول معرفة الروح ؟ » راجع كتاب « الحوار »

(٢) جعل كهنة قدماء المصريين أنفسهم وسطاء بين الله والناس فمنعوا الطبقة الفقيرة من عبادة الله مباشرة ، كالناموسيين الذين خاطبهم سيدنا المسيح بقوله « ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم ، والداخلون منعمتم لو ١١-٥٢ » .

الوحي من تركة إدريس ، المبهمة في حنادس الاساطير .
والآن ، و « أبو الانبياء » إبراهيم ، أدنى الينا أزماناً ، وأوفر
مراجع ، وأوسع آثاراً ، وأذيع اسماً ، في أمم شتى ، وأديان كثيرة ،
وهم أشد ما يكونون لهفة وانتظاراً ، لاستعراض أصول الوحي
من تركته ، وإنهم ليحمدون الينا جهودنا ، لأنهم يدركون أن
إبراهيم ما كان أباً للانبياء ، الا لأن تعاليمه هي النواة الاولى ،
التي تفرعت منها الاديان العالمية الكبرى بعده ، فتعاليمه اصل
السرحة ، والاديان فروعها ، وليس بعيداً إذا انعم أهل الاديان
أنظارهم ، وحرروا عقولهم ، وآثروا الحق ، أن يحسوا أنهم اخوة
تجمع ذات بينهم أصول سرحة الدين الابراهيمي التي يسعدون
بأفياؤها الندية الوارفة ، والتي تذود عنهم ، هجير الاساطير ، ولفح
الفضاء وسحوم الافك .

قد يكون من العسير أن نستخرج آثار مدينة قديمة ، من بين
الانقاض التي شيدت فوقها قصور مدينة جديدة ، وقد يكون أشد
عسراً أن تظهر خارطة المدينة القديمة ، بما نهتدي اليه من بقايا
الآثار والخطوط الدفينة ، وهكذا يخالط اليأس قلوب الكثيرين ،
ويقعد بهم عن التنقيب مستريحين الى ما بين أيديهم .

أما نحن ، فحسبنا سعادة ، ما نستخرج من الآثار ، ونكتشف
من النصوص لتكون لنا ركائز نشيد عليها أصول دين إبراهيم في
« البرهمية » واليك الأدلة التي استخرجنا منها أصول الوحي ، كما

جاء بها إبراهيم :

الاصل الاول : جاء في الفيدا :

« في البدء كان الموجود واحداً لاثنائي له (١) ، فأراد أن يوجد موجودات كثيرةً فخلق النور،.... إنني انا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق الذهب ، ووميض البرق ، وصوت العاصف والاربع

(١) التثليث البرهمني مرض طراً على البرهمية بعد إبراهيم بقرون، وشباب البراهمة المثقفون اليوم ، يفهمونه فهماً لا يناقض اصل الوجدانية ولا العلم ، إذ يعلمون أن « إبراهيم وصيفاً وفشتو » « الثالوث البرهمني » ذابوا في معرفة « البراجاباتي » : (الله) ذوباناً جعلهم لا يطلبون الا مرضاته ، ولا يقصدون في أعمالهم الا وجهه ، حتى أيدم الله بالحوارق ، فهم آلهة اي مؤيدون من الخالق العظيم كما جاء في التوراة في سفر الخروج ٧-١ « وجعلتك الهام لفرعون » اي مؤيداً بالحوارق القاهرة له . وحينئذ يكون استعمال لفظة الاله ، في حق الشخص المؤيد من الله مجازاً ، كما اطلقوا النبوة على مريم اخت هارون ، والمؤلهون منهم يقولون : ان الله الخالق شيء من الأشياء التي تحل : كالجاذبية او الكهرباء او الروح او المغناطيس ، ولكن هذا الحلول يستحيل عقلاً وعلماً ، ويناقض اصل الناموس ، فهو اما ان يكون تاماً اي مستوعباً للذات الالهية استيعاب الجسد للروح ، واما أن يكون ناقصاً ، وهذا يقتضي اشتال الجسم المؤله على جزء من ذات الخالق ، وكلاهما ويقضي أن للخالق اجزاء ذات اتصال وانفصال وهذا محال ، على أن الخالق هو المحيط بالكائنات المنتثرة في الفضاء ولا يحيط به شيء . وتفسير شباب البراهمة هو التفسير الذي يؤيده العلم والواقع والنصوص .

الذي العابق في الارحاء ، أنا الاول الذي لاشيء قبله ، والآخر
الذي لاشيء بعده ، ملك العالمين وخالق السموات والأرض .
هذه النصوص تعطيك الأصل الاول الذي دعا إليه ابراهيم
والرسل قبله ، وهو الايمان بوحداية الله الخالق نور الشمس وضوء
القمر وبريق اللهب وهذا مفهوم من الآية الاولى ، القائلة « في البدء
كان الموجود واحداً » .
الأصل الثاني الايمان بالرسل :

أن الذي يمعن نظره في « الفيدا » و« الرامايانا » يجد النصوص
الكثيرة حول تقديس الرسل الذين يختارهم الله لهداية البشر
والايمان بهم ، وللبراهمة والبوذيين جولات في الدعوة الى الله ، وإلى
الاستمسك بهداية الرسل ، وقد أفضت الى الشام وفارس والبلقان ،
منذ اثني وعشرين قرناً . (١)
الأصل الثالث اليوم الآخر :

إنك تجد الايمان بالبعث والوصول الى « النرفانا » واضحاً في
البرهية كل الوضوح وأخباره مستفيضة والعمل له متواصل الى اليوم
لدى كهنة البراهمة والبوذيين ، وربما بالغ كثير منهم في هذا
الامر ، حتى جعلوا حاجات أجسادهم تحت أقدامهم ، وهذه خلاصة
مما احتفظ به « بوذا » من أصل الابراهيمية : « ليس لله عصور ولا
أيام ، أما يومه فخالد » ، « القوة الكامنة في جميع الأشياء تبني
وتهدم ، وتنفصل دائماً » .

(١) راجع موسنة سليمان وطوائف الملوك « وإذ املك اسرائيل »

ويريد بيومه عز وجل ، اليوم الاخر يوم الوصول الى عالم
النعيم أو عالم العذاب ، حسب التطهير والمراقبة والانفصال ، عن
سلسلة الشهوات الجسدية ، كما يريد ، بالقوة الكامنة في الاشياء ،
أن كل مادة تسيروها قوة معنوية ، فالاجرام مثلًا تسير بالمعرفة
الالهية المودعة في قواها المسماة بالنظام والناموس ، ولكنها لدى
تفكك الذرة تظل باقية ، كما أثبت ذلك العلم حديثاً .

والانسان يسير بالروح المخلوقة المدركة ، فاذا انحل هيكله
ظلت باقية للوصول الى اليوم الخالد ، وتجد هذا واضحاً من
النص الاتي . « ما الموت والحياة إلا صور الجسد ، أما الروح
فباقية » (١) .

الاصل الرابع محبة البشر :

تجد البرهمية غنية بهذا الاصل ، وكيف لا تكون كذلك ، وواضع
أسسها أبو الانبياء الذي تحمل المشاق والمتاعب ، في سبيل هداية
البشر ، وسعادتهم . وهذه طائفة من النصوص الابراهيمية التي
جمعها « بوذا » في كتابه « الرمايانا » .

« أيها الانسان ، كل انسان أخوك ، فحذار أن ترفع يدك على
أخيك » . « اجعلوا خبزكم على عتبات دوركم للجميع ، واتركوا
بعض الثمار على اشجارها للعابرين ، طوبى لليد التي تزرع وويل لليد
التي تضر ، لاتظهر الشماتة ، حتى بالتراب الذي تحت قدميك ،
فانك تجد فيه مرقدك الاخير ، اجعل الارض قسمة بينك وبين

(١) راجع الرمايانا

اخوتك ، فالله لم يتقاضَ من أحد ثمناً لها ، اذ الحياة حق الجميع .
خامساً القتل :

البرهمية تحرص على عدم اراقة الدماء كل الحرص ، حتى انهم
بالغوا فحرموا الحيوان ، والنص ينهي عن القتل المطلق « لا تقتل »
سادساً الزنا :

لم يكتف البراهمة بتحريم الزنا فحسب ، بل دعوا الى حرب
غريزة الميل الجنسي بمتابعة الصوم ، ولزوم الخلوة فجاء النص
« لا تزنا » وقد أفهمهم بوذا أن النظر يزني ومن هنا كان « كونالا »
وأمثاله من الشباب الاتقياء لا يرفعون أبصارهم في اوجه النساء
سابعاً السرقة :

عار كبير في البرهمية ، حتى ان أحدهم يؤثر ان يموت جوعاً ،
ولا يسرق ثمرة يحافظ بها على ابقاء حياته وهذا النص يؤكد ذلك :
« لا تسرقوا أشياء غيركم فالذي يملكه الرجل قطعة من كبده »
ثامناً الكذب :

ان الابراهيمية تجعل الصدق رأس الفضائل . حتى في النية
والاعتقاد وتصحيح العمل ، فالبرهمي محال أن يتكلم بكلمة كاذبة
مطلقاً ، بل ويلتزمون الصمت في الخلوات ، حفظاً على اللسان ،
وقد جاء النص « لا تكذب ولا تفكر في الكذب » .
تاسعاً احترام الابوين :

لعل قراءنا يدهشون ، اذا قلنا ان البراهمة ورثوا عن ابراهيم

الطاعة التي روتها الكتب ، المقدسة عن ولده الذبيح له : والشاب
البرهمي أو البوذي المثقف ، لا يستنكف أن يقدم حياته في سبيل
والديه، اذا أدرك أنها يسر ان لذلك! وأي بوذي أو برهمي لا يروي
قصة الامير « كونا لا » باكبار واحترام ؟ كما يروون قصة الذبيح !.
أجل ، إن كونا لا ابن الملك « أسوكا » ، الشاب التقى والي اقليم
« تاكساها » اغاظ امرأة أبيه الغادة الحسناء أزه لم ينظر اليها استجابة
لرغباتها ، فكادت له بأمر مزور بخاتم ابيه يقضي بقلع عينه . وأرسلته
الى « تاكساها » فأحجم الناس عن تنفيذه حتى الرعاع والاشقياء
لعلهم بطهارته ، ولكن « كونا لا » مديده الى عينه واقتلعها ، صابراً ،
لانه اعتقد أن في ذلك مرضاة أبيه (١) . ولا عجب فانك تجد احترام
الابوين قويا في جميع فروع الشجرة الابراهيمية ، حتى أن كونفوشيوس
نفسه يقرر أن الملك الطائع لابويه ، يطيعه الشعب ، (٢) .
الاصل العاشر اليوم الاسبوعي :

لم نجد أمة تكثر الاجتماع في معابدها ، وتجعل علي أبوابها
البحيرات ليغسل المصلون ارجلهم ، (٣) قبل الدخول ما يكثره البراهمة ،
نفسه التبخير والطهارة ، وقد بالغوا في الاجتماع الاسبوعي حتى كرروه .
ولما كانت الطاوية والكونفوشيوسية ، فرعين من دوحه
ابراهيم المزدهرة الفروع المقدسة ، وكانت النصوص التي تشتمل

(١) راجع دائرة المعارف الفرنسية مادة « بوذا »

(٢) راجع كتاب الحوار

(٣) راجع « رحلة يوسف كمال »

على ذكر أصول الوحي العشرة ، مستفيضة في أسفارهم المقدسة .
وفيا نقله المستشرقون في أبحاثهم ، عن أديان الشرق الاقصى
وهي في جملتها مأخوذة بنصوصها عن البرهمية والبوذية ، آثرنا
الاقتصار على ما ذكرنا .

* * *

اصول الناموس في اليهودية والمسيحية والاسلام :

نعتقد أن قراءنا اطمأنوا الى فهم الاصول العشرة في الاديان التي
ذكرنا ، اطمأناناً يبعث في نفوسهم الشوق لدرس أصول الناموس
في الفروع الابراهيمية الاخرى: اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ،
وخليق بهم هذا الشوق ، وهذه الرغبة الملحة ، فان الذي ينظر
الى جانب من شجرة زاهية ، فاضجة الثمار ، عابقة الاريح ، يلذ له
أن يستمتع بالجانب الاخر .

واذا كانت شجرة آدم تجمع الانسانية جسداً . فشجرة ابراهيم
تجمعها روحاً ، والجسد مهماً سما ، فلن يسمو سمو الروح ، أو
يكتمل كمالها .

الاصل الاول : الايمان بوجود الله الواحد .

« في اليهودية » : « اسمع يا اسرائيل الرب آلهنا رب واحد » (١)

(١) تث ٦-٤

« استخلفك بالرب آله السماء وآله الارض » (١) .
« ليس الله انسانا فيكذب ، ولا ابن انسان فيندم » (٢) .
في المسيحية : « الله واحد وليس آخر سواه » (٣) « الله لم
يره أحد قط » (٤) « ... وينكرون السيد الوحيد الله » (٥) « ليس
أحد صالحاً الا واحد وهو الله » (٦) من يقبلني يقبل الذي
أرسلني » (٧) .

في الاسلام : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا آله الا أنا فاعبدون » (٨) .

« انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ أنها الهكم اله واحد ، فمن كان
يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً » (٩)

(١) تك ٢٤-٣

(٢) عدد ٢٣-١٩ قد مر بك بعض النصوص الدالة على هذا
الاصل في التوطئة وآثرنا الاقتصار على هذه والا فالنصوص
لا تحصى ، وسيأتي بحث الطائفة اليهودية التي قالت بالوهية « عزيز »
في بحث الطفيليات .

(٣) مر ٢-٣٢

(٤) يو ١-١٨

(٥) رؤ ٢١-٢٢

(٦) مت ١٩-١٧

(٧) لو ٩-٤٨

(٨) سورة الانبياء

(٩) سورة الكهف

« يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟
 ما تعبدون من دونه الا أسماءً سميتوها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل
 الله بها من سلطان ، إن الحكم الا الله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ،
 ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (١) .
 الأصل الثاني : الايمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام :

« لا تكونوا كآبائكم ، الذين ناداهم الانبياء الاولون فلم
 يسمعوا » (٢) . « أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك » (٣)
 « وأقت من بينهم أنبياء » (٤) .
 في المسيحية :

« قالت حكمة الله اني ارسل لهم أنبياء ورسلا ، فيقتلون منهم
 ويطردون » (٥) . « لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله » (٦)
 « والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني » (٧) .
 في الاسلام :

« قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل
 واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

(١) سورة يوسف

(٢) زك ١-٦

(٣) تث ١٨-١٥ و ١٨

(٤) عا ١٢-١١

(٥) لو ١١-٢٩

(٦) يو ٣-٣٤

(٧) لو ١٠-١٦

من ربهم لانفرقُ بين أحد منهم ونحنُ له مسلمون » . (١)

الأصل الثالث الايمان بالبعث والجزاء :

في اليهودية :

« لي النعمة والجزاء ، في وقت تزل أقدامهم » (٢) « حاشا لله من

الشر وللقدير من الظلم ، لانه يجازي الانسان على فعله ، وينيل

الرجل ~~كطريقه~~ ، فحقا ان الله لا يفعل سوءاً ، والقدير لا يعوج

القضاء » (٣) . « الرب يجازيك خيرا عما فعلته » (٤) . يجازي الرب

فاعل الشر كشره » (٥) .

في المسيحية :

« فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا

السيئات الى قيامة الدينونة » (٦) « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن

يكون لنا ثقة في الدينونة » (٧) . « يدين الاحياء والاموات ، فانه

لاجل هذا بشر الموتى ، ايضا لكي يدانوا حسب الناس بالجسد » (٨)

« ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق » (٩) .

(١) آل عمران

(٢) تث ٣٢ - ٣٥

(٣) أي ٣٤ - ١١

(٤) م ١٩ - ٢٤

(٥) م ٣٩ - ٣

(٦) يو ٥ - ٣٠

(٧) يو ٤ - ١٧

(٨) رسالة بطرس الاولى ٤ - ٥

(٩) رو ٢ - ٢

في الاسلام :

«مالك يوم الدين» (١) «والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» (٢). «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون». «ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى، وإنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور» (٣). «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (٤).

ها هي الاديان، قد اجتمعت على حقيقة العالم الثاني، وأنه آت لا ريب فيه، هذا هو (حلم الانسانية) كما يقول توفيق الحكيم في رواية اهل الكهف، ولكن لا كما فهم هو من وهم الحلم، اذ الحقيقة المادية المفتون بها، ستقلب الى وهم، حين يرى حقيقة العالم الثاني، ولعله اخذ فكرته من الدهريين او طائفة الصدوقيين اليهود الذين أنكروا على سيدنا المسيح، حقيقة العالم الثاني ورأوه وهماً، واكتفوا بالايان بالبعث الدينوي، وخصوه بقديسي اسرائيل الذين سيتقمصون اجساداً جديدة، ليشهدوا بها ملك اسرائيل الذي لم يتسن مشاهدته لهم في حياتهم! وسيمر بك بحث البعث والقيامة والجزاء في العلم والفلسفة والاديان. في الاجزاء الاتية.

(١) سورة الفاتحة

(٢) سورة البقرة

(٣) سورة الحج

(٤) سورة الزلزال

الاصل الرابع محبة البشر

في اليهودية :

« وتحب قريبك كنفسك » (١) . وهذا نبي الله داود « عليه السلام » يعلن في العهد القديم أن الله للجميع ، وهو يقضي بينهم بالعدل ، ويدينهم بالاستقامة . « تقضي للمسكونة بالعدل ، وتدين الشعوب بالاستقامة » (٢) وهذا اشعيا يعلن في سفره ان محبته لكل الشعوب وبيته مفتوح الأبواب لهم « بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب » (٣) وها نحن اولاء نرى في سفر الجامعة أن الله خلق الخير تحت السموات لتفعله جميع البشر أبداً وخلق الجميع في احسن تقويم ، كما جعل الايمان بالابدية غريزة في قلوبهم ، دون تفرقة وتميز « أرى الخير لكل البشر ، حتى يفعلوه تحت السموات مدة ايام حياتهم » (٤) « صنع الكل حسناً . . . وجعل الابدية في قلوبهم » (٥)

(١) لا ١٩-١٨ فهم متأخرو الاحبار من لفظة قريبك « العبراني فجاء المسيح ووضح هذا الخطأ وأفهمهم أن المراد من القريب الأخ في الانسانية

(٢) مز ٩-٨

(٣) اش ٥٦-٧

(٤) جا ٢-٣ و ٣-١٠

في المسيحية :

« سمعت أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم أحبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا للأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لأنه إن أحببتهم الذين يحبونكم فأني اجر لكم ؟ اليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ . وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأني فضل تصنعون ؟ اليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا ؟ . (١) »

في الاسلام :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٣) « وفي الاحاديث النبوية :

« الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه انفعهم لعياله »

(١) مت ٥-٤٢ . العشارون هم الذين كانوا يأخذون المكوس للرومان وهم من سفلة العبرانيين الذين يحملون فكرة الصداقة للتجارة والربح وتجد ذمهم في العهد الجديد كثيراً حتى قرنهم المسيح بالزناة والوثنيين

(٢) سورة الحجرات آية ٣٣

(٣) سورة فصلت آية ٣٤

« صل من قطعك وأعط من حرمك وقيل الحق ولو على نفسك »
الأصل الخامس - القتل :

في اليهودية - لا تقتل (١)

في المسيحية : « قد سمعت انه قيل للقديما لا تقتل ، ومن قتل
يكون مستوجب الحكم ، وأما انا فأقول لكم إن كل من يغضب
على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » (٢)

في الاسلام : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » (٣)
الأصل السادس - الزنا

في اليهودية - « لاتزن » (٤)

في المسيحية : « قد سمعت انه قيل للقديما لاتزن ، وأما انا فأقول
لكم ، إن كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه ،
فإن كانت عينك اليمنى تعثر فقلعها عنك ، لأنه خير لك أن
يهلك احد أعضائك ولا يلتقى جسدك كله في جهنم » (٥)
في الاسلام :

« ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سميلاً » (٦)

(١) تث ٥-١٨

(٢) مت ٥-٢١

(٣) سورة الاسراء آية ٣٣

(٤) خروج ٢٠ ١٢

(٥) مت ٥-٢٧

(٦) سورة الاسراء آية ٣٢

الأصل السابع - السرقة

- في اليهودية - « لا تسرق » (١)
في المسيحية : « لا تسرق » (٢)
في الاسلام : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء
بما كسبا » (٣)

الأصل الثامن - الكذب

- في اليهودية - « لا تكذبوا » (٤)
في المسيحية - « لا تكذبوا » (٥)
في الاسلام : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين » (٦)، « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » (٧)
الأصل التاسع - احترام الابوين

- في اليهودية : « اكرم اباك وامك » (٨)

(١) خروج ٢٠-١٢

(٢) ممت ١٩-١٨

(٣)

(٤) لا ١٩-١١

(٥) كو ٣-٩

(٦) سورة التوبة

(٧) النحل

(٨) خروج ٢٠-١٢

في المسيحية : « اكرم اباك وامك » (١)
في الاسلام : وقضى ربك الاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين
احساناً (٢)

الأصل العاشر - اليوم الاسبوعي

في اليهودية :

خال أحبار اليهود القدامى ، أن لليوم الذي اطلق عليه اسم
سبت بالذات ، قداسة ليست لغيره من سائر ايام الاسبوع ، وقد
غرب عنهم أن معنى سبت في الاصل راحة ومعقول جيداً ، أن
الرسل يطلبون إلى قومهم أن يرتاحوا يوماً ، يعبدوا الله فيه مجتمعين ،
وهذا هو اليوم الاسبوعي ، فان وجدنا في بعض الاديان الاخرى ،
غير يوم السبت فلا يقال ، إن الناموس تداعي ، فالذين يصلون
يوم الاحد او يوم الجمعة هم ايضاً قائلون باحياء الناموس والعمل به
والادلة على هذا اليوم الاسبوعي في اليهودية كثيرة منها :

« وعرفتمهم سبتك المقدس . . . على يد عبدك موسى » (٣)

« إحتفظ يوم السبت كما اوصاك الرب » (٤)

« لاتشعلوا نارا يوم السبت في جميع مساكنكم » (٥)

(١) مت ٩-١٨

(٢) سورة الاسراء آية ٢٤

(٣) غ ٩-٤١

(٤) نت ٥-١٢

(٥) خروج ٣٥-٣ ، لأنه يوم صلاة واجتماع والنيار هنا نار
الفتنة والنميمة والتكلم في اعراض الناس وليست النيار الحقيقية
كما فهم القراون تلاميذ الحرف

احتطب رجل يوم سبت فقتله موسى بأمر الرب (١)

في المسيحية :

كل الفرق المسيحية جعلت الأحد يوماً الاسبوعي ما خلا السبتيين الذين تقيّدوا بالحرف ، « والحرف يقتل » كما قال القديس بولس (٢) إذ المراد أن يرتاح الناس في يوم من أيام الاسبوع ، وينقطعوا فيه للعبادة ، إذ المسيح نفسه ، لم يفرض يوم السبت ، وقد رقي مرةً فيه مريضاً فعاتبه بعض اليهود فأفهمهم أنه يحل ذلك في السبت و ضرب لهم امثالاً ، (٣) وهكذا ظل المسيحيون غير مقيدين بيوم اذ يخرتم بعضهم السبت وبعضهم الاحد ، حتى جاء قسطنطين ، فجعل الاحد يوم الراحة الاسبوعي ، تأليفاً للامم التي تراه يوم الشمس واصدر بذلك منشورا عام ٣٢١ م

في الاسلام :

جاء الاسلام وقد تطورت البشرية وتقدمت ، وأصبح كل انسان في استطاعته أن يستريح حين يحس بالحاجة الى الراحة ، من اجل ذلك لم يفرض في اليوم الاسبوعي الراحة ، وإنما فرض العبادة الاجتماعية ، نعم ندب أن يبادر الناس الى المساجد في الضحوة الكبرى ، وأن يفتسلوا ، ويتطيبوا ويتفقد بعضهم بعضاً لكن لاعلى سبيل الالزام ، اذ يدل النص على ان البيع والشراء مباح الى وقت الاذان « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من

(١) عد ١٥-٣٢

(٢) كو ٣-٦

(٣) يو ٥-٩ و ٢-٤٢

يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذرّوا البيع « (١)
الآن يحس قراؤنا أنفسهم حـيال الوحدة ، وحدة الوحي
الاهي وأصول الاديان ، وحدة لا يشكون ابدأ في صدقها وحقيقتها
وكم كان بودنا أن يتسع نطاق هذا السفر ، لاستفاضة مالدينا من
نصوص ، ولكن آثرنا السرعة والاقتصار على الجوهر ، تخفيفاً
على القراء ، إذ المراد أن تنكشف لهم الحقيقة ، ويسقطوا على
الواقع ، ويدركوا ، أن الذي سول الاختلاف بين أهل الاديان
وفاق شره المستطيرة ، التعبد اللفظي وكثرة الشروح ، والتأويل
البريء أو الماكر ، بالزيادة أو النقصان ، ولكن والحمد لله قد
استطعنا بما بذلنا من جهود ، أن نأتي بالخلاصة المنتقاة الصادقة التي
يستريح لها قراؤنا الناقدون ، ذور المدى الثقافي الفسيح ، فهم
بلاريب يدركون وزن هذه الابحاث ، وقيمتها الخالدة ، ومكانتها
الرفيعة ، ومنافعها للامم جمعاء اذ ما يخاله السطحيون ، من أن
الخصومات ، والحروب إنما هي من جراء الاديان ، باطل . كما أن
دعوتهم الى الالحاد وطرح الاديان وهدم ادبيات الانسانية ، اجهاز
على بقايا الروح الانساني في النفوس ، بله أنه كفر وتهجم . فالاديان
على كل حال لاتقتضي خلافاً ولا تبايناً ، ولا تنازلاً ولا حروباً ،
لانها واحدة في منبعها وأصولها .

وإنك إذا نظرت الى أفنك الحروب المدمرة في العالم ، التي
أشعلت باسم الدين ، نظرة عميقة فاحصة ، الفيت الدين اتخذ ستاراً

(١) سورة الجمعة

لتبرير مطامع الدنيا ، وهذه أوروبا التي عبدت المادة في عصر النور ،
وضعت في نفسها الوازع الديني ، وقعت بينها من الحروب الجهنمية
ولا تزال تقع ، ما جعل موقعة (بارتلي) وحرب الثلاثين وامثالها
من الحروب التي ينسبوننا الى الدين ظلماً وعدواناً ، حياها شبه
شيء بالخصومات العائلية وضرب المراوات والتراشق بالاحجار !!
وهذه طبائع البشر يرتدون مسوح (القديس بطرس) ويضربون
بعضاً (الطافية نيرون) !!

وإننا نفاجيء قراءنا بالبشرى ، أننا سننسط كل الاديان ، التي
ذكرنا اصولها في هذا الفصل ، بسطاً علمياً صادقاً بريئاً ، في اجزاء
متتابعة ، مؤثرين التوجيه التاريخي ، واللباب اللباب من كل دين
الاقدم فالاقدم .

ابراهيم والبرهمية

نحن لانرتاب أن دراسة الاديان العالمية ، يتعلق عليها أهمية
كبيرة ، وأنها جديرة بالمعرفة والدرس ، إذ كل انسان متدين
بالطبع او بالفطرة او بالغريزة - قل ما تشاء - حتى الذين يخالون
أنفسهم غير متدينين . وقد سلف أن الامم كافة ، لم تحرم من الرسالة
الالهية ، وانا نقصر دراستنا هنا على البرهمية ، لانها أقدم الاديان
العكبرى ، التي لا تزال منتشرة في جماعات كثيرة ، ونقدم بين
يدي البرهمية ترجمة « ابراهيم » عليه السلام .

ولعل بعض القراء يتساءلون عن السبب ، الذي حدا بنا الى
ايشار ذلك ، حسبهم الآن أن يتابعوا الترجمة معنا .

يسرنا أن نعلنهم ، أننا أرحمنا أسداف الظلمات ، التي انطوت
عليها القرون ، وتكاثفت على شمالي العراق لبشاهدوا ، في مدينة
(أور) وما جاورها كجران ونصيبين ، شعباً يعبد الكواكب
وتماثيلها التي ترمز اليها ، معتقدين أن الارواح المقدسة ، المستوطنة
في الكواكب ، التي يقدمون لها العبادة بطوافهم وعكوفهم
وتضرعاتهم ، حول تماثيلها تقوم بدور الوسيط بينهم وبين الخالق
العظيم ، الذي يدعوهم « علة العلل » و « الاله الرئيس » ، إذ يرون
أنفسهم اقل من أن يقدموا عبادتهم لله مباشرة ، في هذا الشعب
« منذ اربعين قرناً » ولد ابو الانسانية الروحي ، وحامل لواء
التوحيد الذي لا يزال اثره مستفيضاً في كل الاديان الكبرى .
ونحسب والده أهم تسميته بأبي الجمهور « ابراهيم » إذ نجد اسماء
الانبياء لا تخلوا من توجيهات الهية ، ودلائل بما سيتم على أيديهم (١)
وما كاد يبلغ مبلغ الرجال ، ويصبح قادراً على تحمل أعباء الدعوة

(١) هذا سيدنا موسى ومعناه « ابن الماء » فقد القى في
الماء طفلاً ونجاه الله من هلاك الماء المحقق ، واغرق عدوه « مانيفتا »
وهذا سيدنا عيسى المعرب عن يسوع ومعناه المخلص ، فقد خلص
الله به كثيراً من الامم ، لاسيما حواريه البررة الاخيار وهذا سيدنا
محمد « عليه الصلاة والسلام » حمده عقلاء أهل الارض ، لأن الله
زوده بمثل الانسانية العليا ، بعد أن بلغت رشدها وأصبحت قادرة
على تعقلها وهضمها ، ورحم الله حسان حيث يقول :
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

حتى انتدبه الله للقيام بها ، فأخذ يوجه شعبه توجيهها ، قوامه
الواقع والحجة .

وها هوذا يخلصهم من عبادة الكواكب ، بالفات نظرهم إلى
أنها مخلوقات ضئيلة ، بين العوالم المادية المترامية في ابعاد الفضاء ،
فهو يرببهم بالعلم ، ويجعلهم يشقون بعقولهم - إذا كانوا يصرون على
عبادة المخلوقات - أن هناك مخلوقات أكبر ، هي أخلق
بالعبادة ، وبهذه القاعدة العملية استطاع أن يقنع من آمن به من
قومه ، بعد أن خلسهم من عبادة القوى المعنوية من الارواح وسواها ،
إذ ما من روح أو قوة معنوية إلا وهناك قوة أكبر منها وأعظم ،
وهي هذه المثابة اجدر بالعبادة ، فروح الملاك مثلاً اعظم من روح
الانسان ، وروح الانسان أعظم من روح الحيوان ، وهكذا
استطاع أن يخلص الناس من عبادة المخلوقات المادية والمعنوية ،
فكانت عقيدته الحنيفية ، وكان الاب الروحي للانسانية .

وحين ادرك المسكبرون من قومه ، أنهم انهاروا أمام الحججة
والبرهان ، عمدوا إلى حجة الضعيف وهي البطش والفتك ، فاشعلوا
النار وأهبوا مارجها ، وقذفوا فيها ابراهيم ، ولكن رعاية الله
وحفظه ، واراادته إتمام الدعوة والرسالة ، جعلتها برداً وسلاماً
« يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » من أجل ذلك ترك ابراهيم
موطنه فرحل وثلة من اتباعه إلى الشام ، وابقى ثلة تمارس
الدعاية سرّاً فيه وفي ما تاحمه كفارس والهند (١)

(١) راجع دائرة المعارف البستاني مادة « برهمة »

ها هوذا بعد أن يستقر في « حبرون » (١) يفكر في مصر
فيرحل إليها ويقيم زمناً يصاهرهم تاركاً اتباعاً وانصاراً (٢)
ابراهيم في بلاد العرب

ليس لرسول من عمل سوى إذاعة الدعوة وامتدادها وهذا
ما كان يجهد له ابراهيم ، ها هوذا يرحل الى بلاد العرب بعد ان
قفل للشام ، اجل نزل في جبال « فاران » و « تيباء » (٣) هو

- (١) مدينة الخليل الآن راجع ص ٣٤
(٢) لم تكن رحلة ابراهيم لمصر عن مجاعة كما ظن مؤلفو كتاب
قصص القران محمد جاد المولى بك ورفقاء راجع ص ٤٩ منه
(٣) اطلقت اسفار العهد القديم على بلاد العرب اسم تيباء المشتق
من تيبا ابن اسماعيل « تك ٢٥-١٥ » كما ترى في « اش ٢١-١٤ »
اذ يقول « وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب
تبيتين يا قوافل الدادانيين ، هاتوا ماء لملقاة العطشان يا سكان ارض
تيباء » وكذلك ذكر هذا الاسم في سفر ايوب ٦-١٩ .
واطلاق اسم رجل على بلاد معروف في اكثر اللغات قديماً
وحديثاً ، إذ تكون البلاد لا اسم لها في الاصل وحينما ينزلها ابو
القبيلة او الرجل العظيم تسمى باسمه ، او ينسى اسمها ويغير ، كما
اشتقوا اميركا من امريكو وروما من روموليوس ، والمهديه من
المهدي العباسي ، والاسكندرية والاسكندرونة من اسكندر
المكدوني .
ولما كانت الكلمات اللغوية تتطور في اللغات وتأخذ حظها من

وزوجته المصرية ، وولده اسماعيل ، ولم تكن رحلته هذه دفعا
لغيره « سارة » ، بالذات وإنما لدعوة العرب الى الحنيفية ، بعد ان
تداعت عليهم الوثنيات ، التي قضت على التوحيد الذي جاءهم به
رسلمهم الأقدمون .

الحياة ، فقد نقل ياقوت عن الاصمعي أن العرب عرفوا اسم تيباء
وتيبا « بالمد والقصر » ، وإنما كما جاء في العهد القديم تدل على الارض
التي لا نبات فيها ولا أنهار ، « راجع ياقوت ج ٢ ص ٢٤٢ »
أما « فاران » فكلمة عبرية معناها في الاصل ، صحراء وجبال
ومكان خال ، وحين توجه الخليل الى صحراء بلاد العرب ، ونزل
هناك ، قالوا توجه الى « فاران » ثم استعمل هذا الاسم للموطن
الذي نزل فيه ، وهو مكة وجبالها ، ولا يجوز بتاتا حصر فاران
في ناحية واحدة من النواحي التي مر بها الخليل اذ تعطينا الدلائل
أن نزوله في بلاد العرب أكيد ، فهناك نصوص أخرى في التوراة
تعين أن موطن « تيبا » ابن اسماعيل في بلاد العرب ، والذي يؤكده
ذلك بعمق ما جاء في الاديان المعاصرة لرحلة إبراهيم الى بلاد العرب
من تقديس بيته وتعظيمه .

وعلى كل حال فهذا لا يمنع نزوله بفاران بئر السبع وفاران
سينا وفاران الرامة وفاران مكة ، حيث تجد هذا الاسم في العهد
القديم علماً على عشر مواضع ، والتوراة تدل على نزول وحي الهي
بفاران بعد وحي موسى والمسيح كما ترى في سفر التثنية « ٣٣-٢ »
مانصه : جاء الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتلاوا من جبال

فهذه الكتب المقدسة ، وصفحات التاريخ تجعلنا نعتقد ، أن
رسولا كبيراً كإبراهيم ، لن يرحل رحلة طويلة شاقة، بين الصحاري
والادغال والمخاطر والاهوال ، إلا لأعمال خالدة يريد الله لعباده
فهل كان بناء البيت الحرام ، ودعوة الانسانية الى الحج ، وهم
الوثنية القديمة ورجم انصاها (١) صدفة ؟

فاران « ولم ينزل وحي بعد موسى والمسيح الابفاران
بلاد العرب .

على أن هذه الكلمة تطلق على فاران سمرقند وفاران مصر
ايضاً « راجع معجم البلدان ج ٦ ص ٣٢٣ وإن دراسة المعاجم
القديمة سوف تكشف اشياء كثيرة من تاريخ رحلات إبراهيم ،
وإطلاق الاسم الواحد على البلاد المختلفة كثير في اللغات، كهلوان
مصر ، وهلوان فارس ، ومنية طرابلس الشام ومنية الاندلس ،
وطرابلس الشام ، وطرابلس الغرب ، وغزة فلسطين ، وغزة البقاع
(١) إن رجم الانصاب لا يزال الى اليوم ، كما جاء به إبراهيم ،
فالخجاج حين يقفلون من عرفات الى منى ، يرمون انصاب الوثنية
القديمة ، محاربة لها وايدافا بأن الذين يعبدونها ، إنما يعبدون
الطواغيت والشياطين التي يرونها حالة بها ، وإفترى هذا الرجم اعظم
مظاهر الحج وأحراها بالأكبار ، إذ ثبت في علم النفس ، أن
الكراهة العملية تؤثر في اتجاهات النفس اكثر من الاقوال .
وباليت هذا الرجم كان في كل الاديان الالهية ، ولو كان كذلك
لما تحرف دين سماوي وعاداه الى عبادة الأوثان ، كما يفعل «الفتيش»
الى اليوم ، بل لما نسي العرب حكمة الرجم وادخلوا عبادة الاوثان

ابراهيم في فارس :

ها نحن اولاء نطلب الى قرائنا أن ينظروا ، في كتب فارس
القديمة المقدسة ، (١) ليلمحوا فيها أثر (٢) بيت ابراهيم وتقديسه ،

على يد عمرو بن لحي الخزاعي جاهلين أن الشياطين المرجومة في تلك
الانصاب هي عين الالهية التي اتوا بها من الشام ولو اطلع ابو العلاء
على ما اثبتته علم النفس اليوم لاسف على قوله .

وقوم أتو من اقاصى البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر
وسياتي بحث لثم الحجر مفصلاً إذ المقصود منه ان يكون علامة
لابتداء الطواني

(١) لزرادشت كتاب يدعى «أفستا» وكتاب يدعى «ياسنا» مقدسان
«راجع كتاب ملوك الطوائف لدوزي» واتباعه يرون البعث جزءاً
جوهرياً من دينهم (راجع دائرة معارف البستاني ج ١٠ ص ٧١١)
ولاغرابة ان يحرم زرادشت عبادة الاوثان وينفي فكرة اله الشر
«راجع تفسير الجواهر لسورة الانبياء» وهم يرون عـلاوة على
احترام زرادشت نبوة ادريس «راجع نهاية الادب ج ٧ ص ٢٧٧»
وهم اكثر الناس محبة للبعث ومعرفة الحقائق الدينية «راجع
الامتناع والموانسة ص ٩١»

(٢) هو البيت الحرام الذي شاده ابراهيم ، وولده اسماعيل ،
وهو مقدس لدى الفرس حتى أنهم اعتقدوا ان روح إله الخير
«يزدان» حلت به ، وقد أهدها احد الاكامرة غزالين مسبوكين
من ذهب ، كما قدسه البراهمة .

وقد طهر الرسول الاعظم كل آثار الوثنية يوم فتح مكة

والذي نعتقده باعثاً لهذا التقديس ، هو الايمان برسالة إبراهيم ،
ودينه في فارس وآشور اذ التأثير ما بينهما متبادل وطبيعي ،
لازم وليد الجوار والمبادلات التجارية والسياسية ، كما
نطلب اليهم أن ينعموا نظرهم في الكتب البرهمية المقدسة ليشهدوا
روح « صيفا - شبوه » أحد أقانيم الثالوث البرهمي حادثة
على البيت وحالة به .

وأما ادلة هجرة ابراهيم الى بلاد العرب ، ودعوتهم الى الايمان
وترك ذريته هناك وتشييده البيت الحرام ، ودعوة الناس اليه
في كتب الاديان الاخيرة ، فكثيرة جداً .
ابراهيم في الهند :

التاريخ القديم تحيط به أسداف الغموض والابهام ، لمن تخبط
بين حنادس نصوصه والغازها ومعضلاتها، ولكن تبدو لدى الباحثين
الناقدين على جانب من الوضوح لانقول إنه كبير ، ولكنه على كل
حال فيه هواد الى ما نهدف اليه .

إننا نعتقد أن ابراهيم رحل الى فارس والهند واعتقادنا هذا لم
يكن ظناً او خيالاً ، وإنما توفرت لدينا النصوص الموثوق بها ، التي

وحطم تمثالي ابراهيم واسماعيل ، وانك تأخذ من اتفاق الاديان
والامم القديمة على تقديس بيت ابراهيم دليلاً على تأثير دين ابراهيم
في تلك الامم ، وأن تلك الاديان منبثقة منه ،

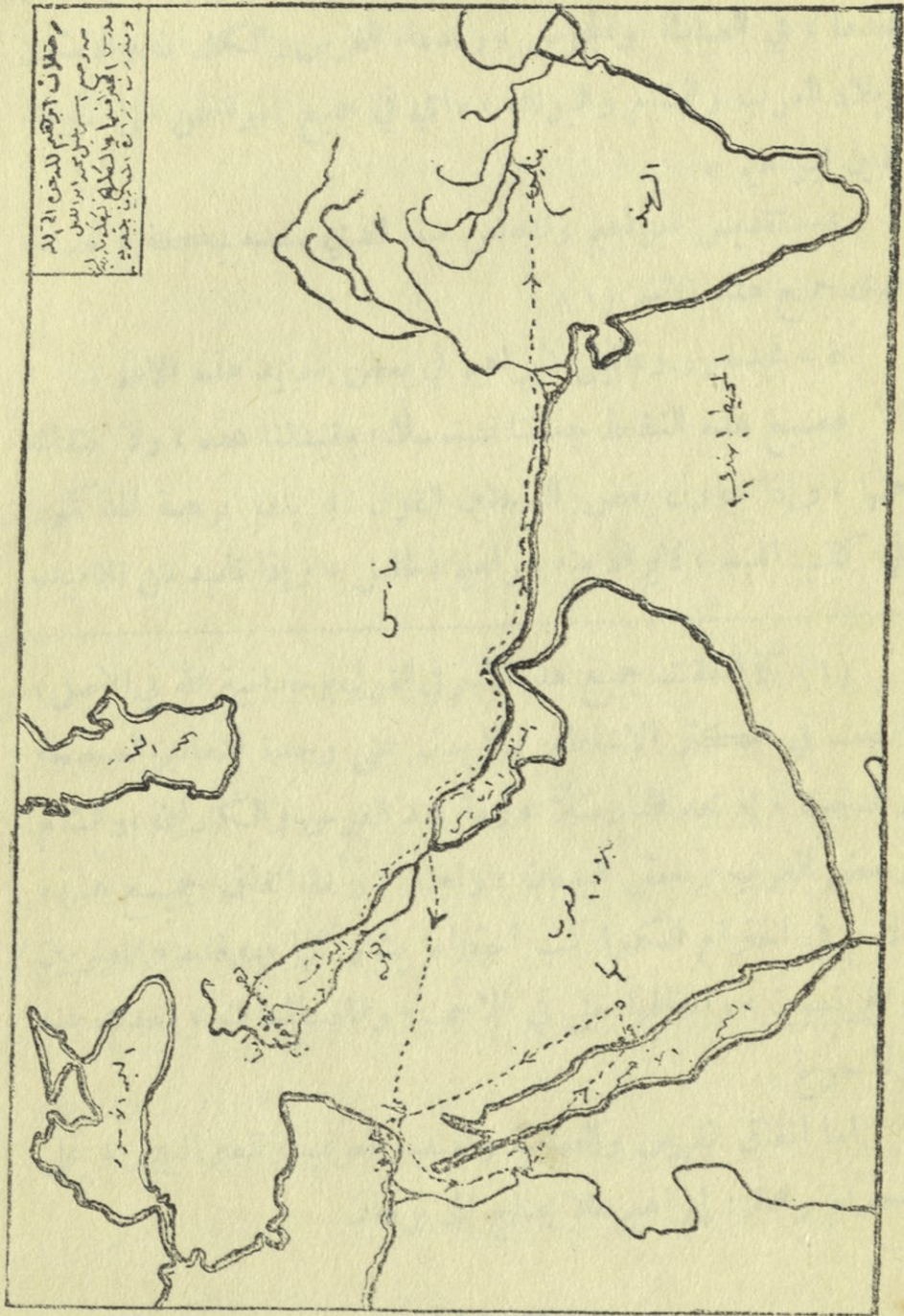
راجع شرح ديوان حسان للبرقوقي وسيرة نور اليقين للخضري
وكتاب طوائف الملوك لدوزي .

دفعتنا الى هذا الاعتقاد دفعا، وإن كانت تبدو غريبة جداً وجديدة جداً لدى بعض الناس !

لا تعجل في النقد ، ولا تبادر في النكران ، وإنما تأمل بفهم وحرية وإخلاص لوجه الحق في النقاط الآتية :

١- نخبونا التاريخ أن ابراهيم زار هذا العالم منذ اربعين قرناً ويقول : وفي نفس هذا القرن ظهر اسم برهمة والبرهمية في الهند

٢- إن اختلاف الاسم في النطق ، لا يجعل صاحبه شخصين مختلفين فان ، المسيح ويسوع وعيسى وجوزوعلم على سيدنا المسيح ويوحنا ويحيى وحاييم وجان علم على النبي المعروف ، والياس وإيليا وإيلي وجرجس وجورجيوس وجرجي وجورج والحضر علم على النبي المعروف ، و ابراهيم و ابراهام و ابرام وبرهم وبرهمة وبرهمن وبرهوم وبرام علم على ابي البشرية الروحي ، ويعقوب وآغوب وجاكوب و جاك وياقوب واسرائيل علم على حفيده ، ... الخ ومصدر هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف اللغات واللهجات ، وها نحن في العصر الحديث نعرب اسم شاعر المانيا الكبير « غوته » على طرق مختلفة حسب اللغة التي يترجمون عنها - غوته - جوته - جوت - كوت ، ويقول العرب عن « بترس » اليونانية - بطرس - وينطقها الفرنسيون « بيير » ومن الجهل بطبايع اللغات ومخارج الحروف ، أن نكلف البشرية جمعاء أن تنطق بلهجة واحدة لشخص واحد بجميع لغاتها ، وكون بعض الافراد ، يستطيعون مقارنة النطق من طول الممارسة والدرس ، لا يبدل على قدرة جميع الامم على ذلك .



مكتبة
 جامعة
 القاهرة
 ١٩٢٥

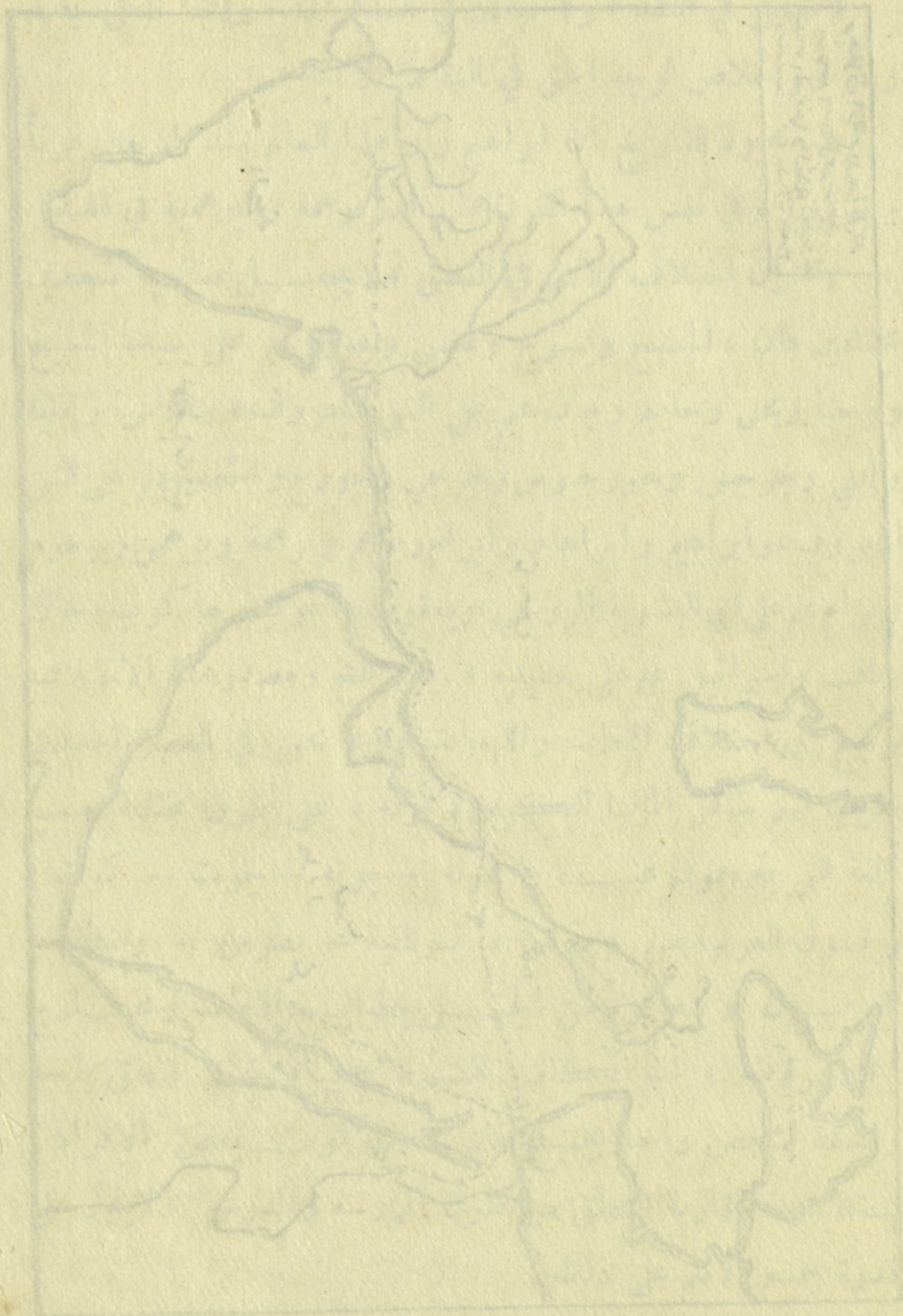


卷之十



天竺國

卷之十



天竺國

٣- تجدد جميع أصول تعاليم ابراهيم في البرهمية ، كذلك الاساطير التي علفت بتعاليمه وانبثقت عنها تجدها في البرهمية ، كما تجدها ، في الصابئة والمجوس ، وقدماء الفرس والكلدان والاشور وبلاد العرب والشام واليونان ، «اي في جميع المواطن التي تأثرت بدين ابراهيم »

٤- تقديس ابراهيم وتقديس بيته الذي شيده بمكة ، تجده لدى جميع هذه الامم (١)

٥- تجد صور وتماثيل لابراهيم في بعض معايد هذه الامم : فجميع هذه النقاط جعلتنا نستمسك بعقيدتنا هذه ، ولا ننفك عنها ، وإذا حاول بعض الباحثين القول ، بأن برهمة المذكور في كتب الهند ، لا يراد منه ابراهيم الخليل ، وإنما تلميذ من تلاميذه

(١) كما اتفقت جميع هذه الامم في القول بوحداية الله في الاصل ، اتفقت في اكثر الاساطير مما يدل على وحدة التعاليم الصحيحة والدخيلة ، إذ نجد النار مثلاً محترمة عند الفرس والكلدان ، والشام وبعض العرب وبعض اليونان ، والهند ، وأما اتفاق جميع هذه الامم في احترام الكواكب احتراماً يشار إليها قدماء المصريين والفرنسيين ، واتفاقها حتى في الاسماء والمصطلحات ، فحدث عنه ولا حرج .

أما اتفاق الفرس والصابئة والهند والعرب والعبرانيين ، على احترام برهمة : ابراهيم فلا يحتاج الى برهان .

أو داع لدينه (١) في الهند فان جوا بننا صريح ، إذ رجلة ذرية
ابراهيم للهند محققة (٢) عن طريق فارس وآشور ، ولكنها
كانت متأخرة ، وبينها وبين وجود اسم برهمة في الهند ، وتعظيم هذا
الاسم نحو ثلاثة عشر قرناً (٣)
على أن رجلة إبراهيم ، لفارس والهند تكاد تكون بينة ، في

(١) ذكر بعض مستشرقى الانكليز أن برهمة ، هو ابراهيم
الخليل نفسه ، كما ان الريحاني ذكر في كتاب ملوك العرب رجلة
ابراهيم الى فارس والهند كما مر .

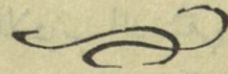
(٢) إن لابراهيم احدى عشر ولداً سوى اسماعيل
واسحق وقد ارسلهم الى بلاد بعيدة وما كادوا يظهرون تدمرهم
حتى أخبرهم أن الله يأمر بذلك ، راجع تك ٢٥-١ وكتاب عرائس
المجالس ص ٦٨ والمسعودي ص ٥١ ومع ذلك لا يمنع ان يكون
احد تلاميذه ، أو اتباعه الداعين لدينه ، اطلق عليه ابراهيم او برهمة
أو إبراهيم الصغير ، أو إبراهيم الثاني ، ولم يكن اطلاق كلمة
برهمة في اول الامر على أنه الخالق العظيم بل على أنه الانسان
الرسول الحكيم وذريته معروفة بالشرف .

(٣) لم يغادر اليهود فلسطين قبل السبي ، ليقال بوصول امم ابراهيم
للهند وفارس عن طريقهم ، اذ عاد لفلسطين منهم بعد سماخ كورش
وسعى استير قوم وتأخر عشرة اسباط كما روى صاحب كتاب
« المسيح من الوجوه الثلاث ، المسيحية والإسلامية والتاريخية » ،
راجع ايضاً سفري عزرا وأستير .

آثارها الخالدة ، فانا نجد المؤرخين القدامي يذكرون اختلافا في
الموطن الذي حرق به إبراهيم ، وهذا ما يجعلنا نعتقد ، أن الاختلاف
نشأ من النشاط الغريب الذي اعطاه الله لحليمه ، في كثرة رحلاته
وتنقلاته ، فحين رأوا آثاره الدينية الكبرى في منطقة الكوفة
قالوا احرق بها ، وإن كان بعضهم يرى محاولة الحرق في مدينة أور
لأن بقايا آثاره الدينية لا تزال حتى اليوم تملأ ما وصل اليها من
اديان فارس القديمة ، لأن النار احترمت بفارس لعدم حرقها
ابراهيم ، ثم بولغ باحترامها حتى عبدوها ونسوا ابراهيم ، الذي
احترمت من أجله ، وهكذا البشر يبالغون في احترام الاشياء
ويسرفون في المدح والثناء حتى يخرجوا بها عن طبيعتها .

وكم من رسول او رباني طهور ، احترموه وبالغوا في احترامه
حتى سلبوه عن انسانيته والبسوه ثوب الالهية ، ونسوا الله الذي
من أجله احترموه .

إن الآثار الشاخصة الى اليوم ، ترينا الخليل كثير التنقلات
والرحلات ، واسع الدعاية جم الأتباع ، ومثله الذي يتغلغل في
بلاد العرب ويتعمقها ، محال أن يدع فارس وهي على متناول اليد
من مسقط رأسه .



البراهمة

ها هم أولاء قراؤنا، وقد انتهوا من ترجمة ابراهيم «عليه السلام» موجزةً، واعتقدوا أن دينه ترك آثاراً خالدةً في أكثر أقطاب الأرض، ثم تفرع إلى نخل كبيرة لا يزال لها ملايين الانباع، وإنهم ليلبسون وحدة العقيدة في العالم، بما قرأوا في بحث النواميس، وبما سيأتي في بحث الاساطير، التي التفت على أصول دين إدريس، ثم إبراهيم، وأحدثت ما أحدثت من انقلابات، ولا تزال تحدث.

والهند أمة من الأمم الانسانية الكريمة، بل من أنبل الأمم أعراقاً، وأسماءها طهراً وارفها مكانةً، وأقدمها معارف وآثاراً، والذي يرجع إلى التاريخ القديم يجد الهند موطن آداب وحضارة، مجدها العرب، فاطلقوا اسمها على فلذات أكبادهم وبعض بلادهم (١) وفاخروا بأن من أسماء سيوفهم المهند والهندواني، وكم بذل ملوك فارس من نفائس للحصول على الحكمة الهندية المودعة بين دفتي كتاب «كليلة ودمنة» الذي يعطي صورة صادقة عن نضوج الهند في العلم والمعرفة (٢).

(١) قيل إن العرب كانوا يطلقون على لواء البصرة «هند» وينسبون له السيوف لانتها تصنع به

(٢) راجع ما كتبه الأديب الدمشقي خليل مردم بك في الكتاب الذي أسماه ابن «المقفع» وما كتبه استاذ الأدب العربي

إذن فآمة هذه مكانتها محال أن تحرم من الوحي الالهي، منذ أقدم الاجيال، ونحن إذ نقول محال، نقولها مؤمنين معتقدين، إذ نجد آثار الوحي الالهي بينة بها من قبل دخول إبراهيم لها بثمان وعشرين قرناً.

لاترع ولا تظن أنا نجول بك في دجي الاساطير، وإنما نعرض عليك برهاناً تاريخياً وطيداً، يجعلك تكبر عقيدتنا وتشايعنا فيها وتطمئن اليها.

كيف لا يطمئن قراؤنا، إلى أن الوحي كان في الهند قديماً؟ وهذه آثار الوحي الالهي والعقائد الدينية تجري على لسان المصلح الهندي الروحي الكبير « كريستا » (١) منذ ثمان وستين قرناً!!

في تجهيز دمشق محمد سليم الجندي، وقد ذكر شغف العرب بكتاب كليله ودمنة شغفاً دفع بعضهم لترجمته نظماً مفتتحاً قصائده بهذين البيتين.

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كليله ودمنة
فيه اقصيص وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند
(١) قد حفت بهذا الرجل كثير من العجائب، حتى قيل إن كل ما يروي عن المسيح من خوارق كان « لكريستا » ويظن أنه كان معاصراً « متراً » او قريباً منه اذ هما يقومان بدعوة روحية واحدة، وهما إما أن يكونا متأثرين بدعوة رسل إلهيين من قبلها، وأما أن يكوناها، وقد احاطهما المبالغون والمغالون بهالة من الاساطير كما سيأتي في الأجزاء الآتية « راجع تفسير الجواهر لسورة آل عمران »، وكتاب الغصن الذهبي بالانكليزية

THE - JOLDN - BEW

أجل تدل بوضوح وجلاء أن هناك ديناً آلهياً ، وكان كريستا
يدين به - إن لم يكن صاحبه - اذ يقول : « ان الارواح السامية
تنال المقام الاسمى لدى خالقها ، كما إن الارواح المنحطة تعذب
بأرضياتها وحقارتها وبعدها عن الله الخالق العظيم » .

يلوح هذا النص التاريخي ، القديم جداً ، لدى صفار القراء
الشادين ، هزيبلاً لا يفيد عقيدة دينية ، ولا يعطي صورة عن وحي
الهي ، ولكنه لدى الباحثين المتعمقين والناقدين المفكرين ، كبير
وكبير جداً ودعامة وطيدة تشاد عليها اسمق الصروح .

إن كلمة واحدة يستخرج منها الفيلسوف تاريخ أمة ، وإن
حجرآ واحداً منبوذاً في ربض من ارباض مدينة ، بين ركام
القمامات والحرائب المتداعية ، يرى الباحثون الأثريون ، تاريخ
أمة يمور في أعماقه موراً (١)

إن هذا النص الزاخر بالمعرفة يدلنا على عدة إشياء :

١- الايانات بوجود الخالق العظيم ، وأنه خالق الارواح
وموجودها من العدم

٢- الايمان باليوم الاخر والثواب والعقاب

٣- ان هناك ديناً اليها منتشرآ في تلك الازمان السحيقة ، لم
يبق من آثاره إلا امثال هذه الكلمات ، التي نقلت اليها منذ أقدم

(١) كحجر رشيد الهرغلوفي مثلاً وحجر شريعة « حمورابي »

الملك العربي البابلي الذي عاصر ابراهيم ودعي في العهد القديم
« ملكي صادق » كما سيأتي تفصيلاً .

العصور ، وكم في مدافن الزمن ورموس الاجيال ، ونواويس
الاباء من آثار دفينه ، وأديان ضائعة ، وحقائق مطموسة . وإنا
نظفر من كل ذلك بعقيدة صحيحة هي : أن الوحي الالهي كان في
الهند قبل ايام « كريستا » اي قبل ثمان وستين قرناً .

وكان على أتم ، جلال القداسة والاشراق ، ولكن اذا
تركنا عصر كريستا وعدنا أدراجنا الفينا الاساطير والامراض
والنحل تعتور ذاك الجسم الذي كان في عصر كريستا صحيحاً ،
إذ ان العالم في القرن الذي ولد فيه إبراهيم « ١٩ ق م » كان في
سغب وروحي ، ومرض ديني .

وكان ابراهيم يضطرب في زلزال الحماسة المتقدمة كي لا يدع
أمة من الامم غارقة ، في بجران أمراض الوثنية ، وطغيان تحكم
الكهنوت الاسطوري ، فهو يرحل جاهداً راضياً من مدينة الى
مدينة ، بل من قارة الى قارة ، لالشيء سوي الدعوة الى الله
وهدي الانسانية الى الخير .

ومثل ابراهيم الذي يتغلغل ، في أعماق الصحراء منتشياً
بلوافح الرمضاء ولظى الهجير وهب السموم ، ليهدي قوماً من
العرب الرّحل ، لن ينسى الهند ، وهي من موطنه على متناول
اليد ، وبالاحرى بعد ان اجتازه الى فارس ، وامسى منها جنباً
الى جنب .

ان ابراهيم لرحالة ديني عظيم ، وكتب الوحي المقدسة ، لم
تفصل كل رحلاته ، لأنها ما أنزلت لأجل تاريخ الرسل ، فهذا الانجيل
سكت عن ثمانية عشر حجة من حياة المسيح ، وهذا خاتم الكتب

السمائية ، لم يذكر كل تاريخ النبي « ﷺ » فكيف نريد من العهد القديم ، أن يعلم بكل رحلات ابراهيم ، وبينه وبين نزوله اربعة قرون ! وكيف نريد من هذه الكتب الثلاث التي لم تحط بكل حوادث ، من انزلت عليهم ، أن تحيط بتاريخ أبي الرسل ابراهيم ؟

نعم جاء في القرآن أن الله لم يحرم أمة من هداية الرسل ، واقامة مواطن المناسك المقدسة ، « وإن من أمة الا خلا فيها نذير » (١) « لكل أمة جعلنا منسكاً » (٢) ولكنه لم يقص علينا أخبارهم مكتفياً بالايان الاجمالي ، بأن رسل الله وأعمالهم أكثر من أن تحصى « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » (٣) .

والذي يجعلنا نطمئن أن ابراهيم نفسه ، هو الذي غرس نواة الابراهيمية في الهند ، لا احد ابنائه ، أو تلاميذه هي موجبات العقيدة الصحيحة ، التي تحمل اسمه ، بل قد امتدت آثارها حتى نفذت الى الصين ، فقد جاء في كتاب صفوة الاعتبار للسيد محمد بيوم التونسي (٤) أن المصلح الديني الكبير «يو» . . . ظهر في الصين ، في الزمن الذي وجد فيه إبراهيم في الهند ، يدعو الناس الى العقيدة التي جاء بها ابراهيم وهي الايمان بوحداية

(١) فاطر

(٢) الحج

(٣) غافر

(٤) راجع ج ١ ص ٢٣

الله المطلقة ، ونبت عبادة المخلوقات من نجوم وأقمار وشموس ،
واحيجار وحيوان ، وأرواح وسواها ، ولا تزال له كتب دينية
حتى اليوم ، وظلت عقيدته سائدة أربعة عشر قرناً ، ثم تداعت
تحت انقاض النحل ، حتى جاء المعلم المحترم « كونفوشيوس »
اكبر المصلحين الصينيين القدامى ، واسماهم مكانةً ، فأزاح عنها
ركام الأنقاض ، وأشاد هيكلها .

ولا ينقض نسبة الابراهيمية الهندية الحالية ، إلى ابراهيم
وجود انحرافات كبيرة جداً ، وأغوار عميقة ملتوية ، فان كل
الاديان التائهة في مجاهل القرون ، لها مثل تلك الاغوار ، وهاتيك
الانحرافات ، وعلى الرغم من كل ذلك نجد ، أضواء عقيدة ابراهيم ،
تلوح من خلال ركام الانقاض ، كما مر بك في بحث النواميس .

وإنك تجد الباحثين المتعمقين في الابراهيمية الهندية ، مجمعين أنها
غريبة عن الهند ، وأن ابراهيم لم يولد في الهند ، والذين حاولوا أن
يثبتوا ذلك لم يستطيعوا أن يعينوا بلدة بعينها ، وأن مجيئها كان
من طريق فارس ، مما يؤكد أنها هي ابراهيمية سيدنا ابراهيم
عليه السلام ، التي نشأت في فارس والعراق مع الاعتراف بأنه
رسول حكيم (١) ولا يقال لماذا لم يبق في الهند حتى آخر حياته ،

(١) دائرة معارف البستاني مادة « برهمة » والصفحات الاولى
من كتاب اديان العالم الكبرى الذي خصه عن الانكليزية حبيب
سعيد وملوك الطوائف لدوزي ودائرة المعارف لوجدي ج ٧
ص ٧٢٥ الى ص ٧٥٨ وكلها تؤكد ان برهمة ليس باله وليس مولوداً
في الهند ، وله في الهند ذرية بما يؤكد ان لابراهيم ذرية كثيرة غير

فان اكثر الرسل ينشرون اديانهم اثنى تيسر الامر ، في اية بيئة
مهما نأت ، ثم ينتقلون الى سواها وسواها حتى يوافيهم الاجل
تاركين من يقوم بأعباء الدعوة من بعدهم ، وقد ترك إبراهيم بلاد
العرب بعد أن نشر فيها دينه وغادر ولده اسماعيل وحفيده « تيا »
ينتقلان ويدعوان ، وهكذا يقال لدى تركه الهند ، ويؤكد ذلك
أن ابراهيم لا قبر له في الهند ، والبراهمة المتأخرون يقولون ، هو آله
ارتفع الى السماء ، لانه الأصل الاول في الثالوث المقدس .

وإن برهمة هو ابراهيم حتى من جهة المدلول اللغوي ، فابراهيم
الكلمة الكلدانية التي تعطي معنى أبي الجمهور ، هي ذات المقصود
من كلمة برهمة الدخيلة على السنسكريتية ، إذ معناها ابو الانسانية
وحيث انحرفت العقيدة الابراهيمية في الهند ، ورفع برهمة من
رسول حكيم كما قال دوزي الى الالهية ، واصبح الاقنوم الاول ،
تطور المدلول اللغوي ، فأصبح يترجم « أبا المخلوقات » فالابوة
على كل حال ، هي المدلول الاول التي لاتزال الى اليوم .

والذي يدلنا على أن ابراهيم ، برك أمم الارض بدينه وفريته ،
فوق ما اسلفنا من براهين هو اجماع نصوص الكتب المقدسة
على هذا الامر ، ولا حاجة بنا أن نذكر النصوص التي في « الفيدا »
والراماياتا « إذا كثرت متعلق به ودينه ، والبراهمة والبوذيون
يتعبدون بها ليل نهار ، ويعرفونه كما يعرفون أنفسهم ، هذا إذا

اسماعيل واسحق ، ذهبوا الى بلاد بعيدة بمجولة لنشر الدين وأفهمهم
أن هذا بامر من الله راجع تك ٢٥-١ وعرائس المجالس .

قطعنا النظر عن اشتقاق اسمهم من اسمه .

نعم نذكر جانباً من نصوص الكتب الثلاثة التي لدينا ، لنذكر
نحن أن ابراهيم بارك شعوب الهند بنفسه وذريته ودينه كما باركنا ،
وإنه امام لهم كما هو امام لنا ، ونحن وإياهم نستظل بظلال
وحيه المحفلة المقدسة .

واليك ما جاء في القرآن :

« وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » (١) « ولقد أرسلنا نوحاً

وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب » (٢) .

وما جاء في الانجيل :

« ظهر اله المجد لابينا ابراهيم » (٣) « وعد الله ابراهيم قائلاً:

لأباركك بركة ، ولأكثرنك تكثيراً » (٤) لتصير بركة

ابراهيم للامم (٥) .

وما جاء في التوراة :

« وتبارك فيك جميع قبائل الارض » (٦) « وأجعل

نسلكك كتراب الارض » (٧) « واما انا فهوذا عهدي معك وتكون

(١) سورة العنكبوت ٢٧

(٢) سورة الحديد : ٢٦

(٣) اع ٧-٢

(٤) اع ١٣-٦

(٥) غل ٣-١٤

(٦) تك ١٢-٢

(٧) تك ١٣-٦

ابا لجمهور من الامم وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك
من بعدك ، في اجيالهم عهدا أبديا » (١)

وها هي التوراة تعين أن ابراهيم ، بعث بذريته الى الشرق
« واما بنو السرايري » اي ابناء ابراهيم سوى اسحق واسماعيل
وهم احد عشر ولداً « فاعطاهم ابراهيم عطايا وصرافهم الى ارض
المشرق » (٢) .

كما يشير الانجيل إلى أن لابراهيم ذرية في المشارق والمغرب
« إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون مع ابراهيم » (٣)
وقد أجمل القرآن معنى ذلك بقول الله لابراهيم « أني جاعلك
للناس اماماً » (٤) « قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً
قيماً ملة ابراهيم » (٥)

* * *

الآن تحقق قراؤنا ، أن ينبوع الوحي الالهي واحد في كل
الامم ، وأن الله ، بارك امم الارض ، بابراهيم وذريته من بعده ،
فلا غرابة إذا وجدنا هذا الاكبار ، في أمم المشرق الاقصى وفيما
نحن ، إذ كل ذلك مصداق للوحي الالهي ، وتوحيد لكاملتنا ، واعادة
الفروع الى الاصل ، وبناء للمحبة الانسانية ، على أساس الهي وثيق .

(١) تك ١٧ ٥

(٢) تك ٢٥ - ٥

(٣) مت ٨ - ١١

(٤) سورة البقرة

(٥) سورة الانعام

البراهمة الحاليون

أصبح قراؤنا يعتقدون معنا ، أن ابراهيم نفسه هو الداعي
الاول للبرهية في الهند ، لابعض تلاميذه ولا أحد أولاده وأنه
نشر عقيدة التوحيد ، وأن التثليث طفيلي عليها ، كما انه طفيلي
على البوذية ، (١) ولا ضرورة الى نفي الداعين العظمين « سيفا
وفشنو » (٢) الذين أدخلوا في التثليث البرهيمي مع ابراهيم بعد
أجيال ، والقول إنهما صفتان لابراهيم ، باعتبار أن ابراهيم هو الله ،
إذ وجودهما ثابت بالأدلة التاريخية ، وفشنو هو مشيد المدينة المقدسة
« بنارس » (٣) بمعاونة تلميذه « فارما وماهيس » وسيفا لا تزال
مفارته تزار الى اليوم .

وما دمنا ندرك أن المغالاة في الحب والتقديس ، تخرج الانسان

-
- ١) راجع دائرة معارف البستاني مادة « بوذا » ص ٦١٧
٢) نفي بعض علماء البراهمة وجود « سيفا وفشنو » تخلصاً
من القول بالثالث قائلاً هما صفتان لبرهية فحسب ، احداهما صفة
الاهلاك والثانية صفة الاعطاء « راجع تفسير الجواهر لسورة ص »
ولا غرابة فان الفيدا تصرح بالوحدانية المطلقة ، والقول بالثالث
لم يظهر في البرهية الا بعد احد عشر قرناً من وفاة ابراهيم .
٣) مرت ترجمة ادريس و كريستا وسماقي ترجمة متر في كتابنا
« طفيليات وأساطير »

عن بشريته، وترفعه إلى درجة الألوهية ، فقد حصل هذا لابراهيم
كما حصل لادريس و كريستا ومترا وغيرهم من قبل .
إن الذين خلفوا ابراهيم في الهند ، وكانوا يحملون أعباء
الدعوة الابراهيمية فيها ، وتعليم طقوسها ، وتلاوة صحفه
التي جمعت في « الفيدا » (١) إنما هم أتباعه الذين هاجروا إلى الهند .
وقد ظل هؤلاء الاتباع وذرياتهم ، يمارسون الدعوة الى دين
ابراهيم ، أجيالاً طويلة ، كما جاء بها ابراهيم نفسه ، وحين تقادم
العهد وكثرت الشروح والتأويلات ، جعل هؤلاء لانفسهم ميزةً
مقدسة ، يسخرون بها سائر الشعب ، لأنهم يرون انفسهم حاملي
لواء ابراهيم الاول ، فادخلوا في البرهمية نظام الطبقات ، وهو

(١) مركزها الديني في البرهمية كمرکز « لهاसा » حيث يقيم

كبير اللامات البوذي « راجع رحلة يوسف كمال ج ١ »

(٢) لم يجد غاندي في الفيدا : صحف ابراهيم ، غير ما وجده

آل كاشف الغطاء في القرآن « كلمة التوحيد توحيد الكلمة » فقال

« غاندي » : الفيدا لاتقدر قيمتها بشئ ، وإني أو من بوحدانية

الله المطلقة ، ولذا أو من بوحدة الانسانية ، راجع كتاب ابي الهند

ص ٤٠ وجريدة التلغراف البيروتية ٢٣ شباط سنة ١٩٤٨ .

أجل يقدر الفيدا ، ويأخذ القرآن بمجامع قلبه ، وتعظه خطبة

سيدنا المسيح على الجبل « يقصد اصحاحات ٥ و ٦ و ٧ من متى »

ويرى في خاتم الانبياء « سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم » المثل

الاعلى ، وبالأحرى بعد أن درس كتاب « البطل في صورة نبي »

لتوماس كارليل .

داه الأجيال المزمين (١) الذي ماجأت الاديان لإلهدمه، وقد أدرك
كبار المصلحين قديما وحديثا، أمثال بوذا وناثك وغاندي ، وكثير
سواهم ، أنه طفيلي دخيل على البرهمية ، كالتثلث ، وقد اضرا
(١) إنه كذلك ، ها انت ذا تراه قبل أن يدخل على البرهمية

في اليابان ، فقد جعلوا الطبقات الحاكمة وعلى رأسها الملك ، تختص
بشتى الميزات ، أما الملك فله الميزة الحارقة ، اذ هو ليس من السلائل
البشرية ، هو ابن الشمس ، وتراه لدى قدماء المصريين أقوى منه
لدى اليابان ، حيث لم يكتفوا به في هذا العالم بل نقلوه الى
العالم الآخر ، وأدخلوه أسطورة في دين ادريس ، فقالوا «جنة الملك
في سفينة الشمس وجنة العامة في الارض » وقد استفحل في
الامرة العاشرة ، فكفرت الطبقات العالية عنه بسفك دماءها .

وإنك تجده في فارس القديمة ، يتمثل في طبقات ثلاث ، طبقة
الكهنوت « الموازنة » طبقة الحكم « المرابزة » طبقة العامة ، وكما
وبئت به البرهمية ، وبئت به البوذية بعد تناول القرون ، رغم
أن بوذا يجيز للمنبوذ أن يكون كاهنا ، فعادها نظام الطبقات ،
وأصبح الثالث البرهمي رابوعاً بوذياً ، إذ أغيف اليه بوذا ،
وحل كهنة اللامات البوذية ، محل كهنة بنارس البرهمية .

وقد قضت الاديان الثلاث الاخيرة : فروع الابراهيمية على
هذا الوباء ، حتى ان سيدنا موسى خاطر بحياته ذوداً عن شخص
عادي ، إذ رأى حياته جديرة بالكرامة والحفظ ، وهي لا تنقل
في نظر موسى عن حياة موسى نفسه ، ولم يفلح اللاويون الذين
حاولوا أن يجعلوا لانفسهم من الميزة ، ما لكهنة «بنارس» ولا مات

بها اضراراً بالغة ، ونلمح هنا اليه الماحياً ونرجى الاستفاضة فيه
الى كتاب « طفيليات وأساطير » واليك تقسيم الطبقات .

١ - الرؤساء الروحانيون ، ويرون أنفسهم نواب ابراهيم ،
ولما جعلوا ابراهيم هو الله قالوا إنه خلقهم من اعضاءه العليا ، وهم

« لهاسا » و« كهنة » الشنتوا : دين اليابان « وميأتي تفصيله » لان
نصوص المساراة كانت تطفئ عليهم .

وهذا سيدنا المسيح يفهم تلاميذه قائلاً « معلمكم واحد وأنتم
اخوة » بل يغسل أرجلهم ليكون لهم اسوة عملية في التواضع
والتراحم فيما بينهم ، وهذا سيدنا محمد يخدم الحبيشة بنفسه ، ويجمع
الخطب لدى صنع الطعام مع أصحابه ، ولما أبوا عليه ذلك قال
« إن الله يكره المتميز بين اخوانه » بل لم يجعل بين انسان وانسان
آية ميزة اذ يقول « الناس سواسية كأسنان المشط » وان يكن
هناك امتياز ، فانما هو بالتقوى والنفع العام ، والتطوع لخدمة
الانسانية ، وعلى الرغم من تعاليم الوحي الالهي ، فقد تطفئ نظام
تفاوت الطبقات على جُل أمم الارض ، ولم ينبج فرنسا وروسيا
منه سوى ثورتها الداميتين .

راجع تاريخ قدماء المصريين ، وطوائف الملوك لدوزي ،
ودائرة معارف البستاني مادة بوذا ، وقصة خروج موسى من مصر
في القرآن والتوراة وسفر اللاويين ، وانجيل متى ٢٣-٨ وانجيل
يوحنا ٥-١٣ والسيرة النبوية لاسيا خطبة الوداع ، وتاريخ الثورة
الفرنسية ومجلة الهلال لشهر مايو ١٩٤٨

لا يكلفون أنفسهم اي عمل سوى تناول الاثاوات والجعل ، باسم
الدين والحرمات من السماء ، وهم اربعة ملايين ، وقد لمزهم غاندي
بقوله « ان الذين يأكلون دون ان يعملوا الصوص » (١)

٢ و ٣ - طبقا للمحاربين والملاك ، وهؤلاء لهم كرامتهم
واحترامهم وأعمالهم الحرة ومهنتهم الشريفة ، وعليهم الاعتماد الاقتصادي
والسياسي ، ونحسب أن المحاربين هم من الفرس وسواهم ، الذين طرؤا
على الهنود القدامى ، حاملين دين إبراهيم ، وأما الملاك فهم أغنياء
الهنود ، الذين رسمهم غاندي بقوله : « أصحاب الطمع الروكفاري »
٤ - السودرا - الأنجاس المنبوذون ، وهؤلاء فقراء الهنود
الذين يشتغلون بالاشغال الشاقة ، ويمتهنون المهنة الدنيئة ، وقد
قيدوا باسم الدين بأغلال أبها المصلحون ، لأنها دخيلة على البرهمية ،
فلا يحق لهم دخول المعابد ، ولا مخالطة الطبقات الثلاث العليا ،
ويحرم على ابناءهم التعليم (٢) ، وتراهم الطبقات الثلاث مخلوقين من
اعضاء إبراهيم السفلى !! لذا حرمت عليهم السعادة الدينية ،
ولازمتهم النجاسة ، وكل من يحاول طلب ارتفاعهم يعتبر مجذفاً ،
إذ محال ، أن تنقلب الأعضاء السفلى عليا .

أما غاندي وهو المؤمن العميق عدو الملحدين فإنه يقول « لو كان
حقاً في أصول البرهمية نظام الطبقات لكفرت بها » (٣) إذ أدرك أن

(١) راجع ابي الهند ص ٧٤ كما أن روسيا تمنع بطاقة الطعام

عن الذين يستطيعون العمل ولا يعملون ، راجع مجلة الهلال مايو ١٩٤٨

(٢) لكن الانكليز أمروا بتعليمهم .

(٣) راجع أبي الهند ص ٧٨ .

الله واحد ، قد خلق خلقه بأمره وقدرته ، وهو ليس بإنسان أو روح
ليجتزى من أعضائه خلقاً شريفاً وخلقاً خسيساً .
أجل أدرك أن هذه أسطورة ، وأنها خطر عظيم على العقيدة ،
إذ لو كان في الخالق العظيم أعضاء « نستغفر الله » لانتفي عنه
الكمال المطلق ، بله الحقيرة .

من أجل ذلك عقد غاندي ، مؤمراً للمنبوذيين افتمتجه قائلاً :
« أنتم عظماء وعظماؤنا وأرجو أن أرى للهند على أيديكم أعمالاً عظيمة »
ونحن يؤسفنا جداً ، أن تظل حياة إخوتنا المنبوذين ، على ما
كانت عليه بعد وفاة ، المهاتما (١) غاندي ، وإنا نضرع إلى الله أن
يقيض لهم رجالاً أمثالاً ، يزدودون عنهم طغيان الأساطير ،
ويردونهم إلى حقيقة دين إبراهيم ، كما جاء بها الوحي الإلهي .

نعتقد أن الذي يرفع عنهم إصر الأساطير ، ويجعلهم
يستمتعون بروح الوحي ، وحرية وشرفه وسموه ، إنما هو العلم ،
إذ الجهل هو الذي جعل لنظام الطبقات الدخيل كل هذه القداسة
والتعبد الممقوت ، كما أوسع الشقة بين أبناء الوطن الواحد ، إذ
نسبة المتعلمين في الهند ، لا تتجاوز اثني عشر من المئة ، ولو كانوا
متعلمين لاستطاعوا أن يدركوا الروح الزاخر بالدين ، المفعم
بالتسامح والمودة الصادقة .

هذا غاندي الذي شمر للعلم ، وأبى أن يدعن لرئيس الكهنة (٢)

(١) معناها روح عظيمة متصلة بالله .

(٢) راجع ص ٣٢ من أبي الهند

حين حاول ، أن يزوده عن الذهب للندرة ، يصافح إخوته المسلمين
ويسير وإياهم ، جنباً إلى جنب ، حتى أن الزعيمين الكبيرين
«شوكت علي ومحمد علي» ورفقاؤهما من أقطاب الإصلاح الاسلامي ،
اختاروا غاندي لرأسة المؤتمر المطالب بالخلافة للعرب (١) .

وكم من مرة يصوم معرضاً حياته للازهاق ، حين يفارق الجهل
الخصومة الرعناء ، بين المسلمين وإخوتهم الهندوس الابراهيميين قائلًا:
« من الناس من يراقبون النزاع الذي بيننا بسرور ، ومنهم من
يراقبه بأسف ، أما نحن فقد ادعنا للشيطان مراراً ، صومي
وحده ليس كفارة ، إنما الكفارة الحقيقية ، أن لا يضر المسلم
شراً لأخيه الهندوسي ، ولا الهندوسي لأخيه المسلم ، ولا أطلب إلى
أحد من البراهمة أو المسلمين أن يتوك حرفاً من دينه بل يجب عليه
أن يعلم يقيناً أنه دين ، ويؤمني جداً أن أرى من يهين أديان
الآخرين ، أو يرسل الأقوال الطائشة ، أو يتكلم إفكاً ، أو يثير
الخصومات ويقتل الأبرياء ، ويهتك حرمة الهياكل والمساجد ، هذا
هو الكفر ، هذا هو نكران وجود الله » (٢) .

(١) راجع ص ٧٨ منه بل راجع ٦٧ و ٦٩ لتري كيف يشترك
غاندي وزعماء المسلمين بتأسيس المؤتمر الهندوسي الاسلامي منذ

عام ١٩٢٤

(٢) راجع جريدة التلغراف البيروتية ٢٣ شباط ١٩٤٨

نظر الاسلام الى البراهمة

جاء الاسلام ، وقد فرض على معتنقيه الايمان بكل الرسل ، ليكون المسلم أوسع دائرة ، (١) يدخل فيها إخوته في الانسانية ، ويضمهم اليه برفق ، ويمنحهم مودته وثقته وإشفاقه عليهم .

ونظر المسلمين إلى الرسل السابقين ، الذين ذكرهم الله في القرآن ، والذين لم يذكرهم ، نظر قداسة وإيمان ، وكذلك ينظر إلى أتباعهم ومعتنقي أديانهم وكتبهم المقدسة .

فالمسلمون هم كالأخوة الراشدين ، الذين وصلوا بمعارفهم الى الجامعة ، وأخذوا يتلقون مثل الانسانية العليا والحكمة ، ويتقيدون بها عملياً ، وسواهم كالأخوة الذين دونهم في معارفهم ، لعراقة أزمانهم ، وقدم أديانهم ، إذ تلقوا تعاليم الرسل أيام طفولة الانسانية ، ولهذا لن تجد إخوة راشدين لا يجهدون لاسعاد إخوتهم ، والغض عن هفواتهم ، مع المودة الصادقة والعمل لدوام الصلة .

ونظر المسلمين إلى ما أنزل الله على أبي الرسل إبراهيم من صحف ، لا يقل قداسة وإجلالاً وإيماناً عما أنزل الله في الكتب الثلاث :

(١) أجل هذا واجب المسلم المحتم ، إذ كل ما في الاديان من محاسن يجمعها الاسلام فهي بروحها فيه وحقيقتها ليست سواه ، وعدم تقدم المسلمين ليس حجة على الاسلام لأنهم أهملوا العمل بمثل الانسانية العليا ، وبقدر اهمالهم يكون تأخرهم ، وتأخر الدولة لا يحط من مجد دستورها إذا كان تقديمياً .

« التوراة والانجيل والقرآن » . كما أن نظرهم إلى أتباعه ، سواء كانوا في الهند أو فارس أو الصين أو العراق ، نظر تقدير وأخوة ومودة . إذ القرآن ينادي بأن أولى الناس بأبي الرسل ، هم الذين أتبعوه قديماً وحديثاً كما سلف ، لأن خاتم الرسل إنما جاء حاملاً حجة إبراهيم ودعوة إبراهيم إلى ملته ، أي حاملاً كلمة التوحيد لتوحيد كلمة الانسانية ، وتلك هي قوام الرسالات الالهية جمعاء « وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ولوطاً ، وكلاً فضلنا على العالمين ، ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » .

فها نحن أولاء نجد أن الله قدس إبراهيم ، وجعل في ذريته النبوة والرسالة ، وجعل هداه نبراساً وقدوة للجميع ، كما حث خاتم الرسل على ذلك بعد ذكر إبراهيم وذريته في الآيات المتقدمة « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفروا بها هؤلاء (١) فقد وكلناهم قوماً ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين

(١) هذا تهديد لقوم النبي ﷺ بأن كفرهم بالوحي لا يمنع إنتشاره ، إذ ينشره بسواهم ، ومثل هذا التهديد وقع في التوراة إذ هدد بني إسرائيل - لدى عدم استقامتهم - بسلطان العرب ، الذين يطلق عليهم في العهد القديم ، « الأدوميون » ، إذ كان هؤلاء الأدوميين ، دولة ممتدة من تخوم الأردن إلى صحراء سيناء مما يجاذي مملكة الانباط في « سلع » وهذه الدولة معروفة منذ القرن

هداهم الله ، فبهدهم اقتده ، قل لا أسئلكم عليه اجر إن هو إلا ذكر للعالمين .

ولا ريب أن البراهمة يجدون في أقدم عقائدهم التي أخذوها عن صحف إبراهيم ، عقيدة التوحيد مشرقة ، كما أنزلت من السماء ، وبهذه العقيدة استحق أتباع إبراهيم أن يكونوا أولى الناس به ، إذ عقيدة التوحيد هي حقيقة الأديان جميعاً ، فليس هناك فارق في

الثالث والثلاثين قبل الميلاد (راجع خطط الشام ج ١ ص ٥٩) وهي حاكمة جزء الشام الجنوبي قبل الطائفة التي تسلمت من جزر البحر الأبيض المتوسط «الفلسطينيين» حتى أن موسى (عليه السلام) طلب إلى هؤلاء العرب أن يسمحوا له بالمرور من أرضهم لدى رحيله من مصر ، (راجع عد ٢٠ - ١٤) وقد كان بين العرب وسليمان مشادة (راجع امل ١١ - ١٤) وكم احتل العرب مدن الاسرائيليين حينما وحدهم ، وحينما بمخالفة الفلسطينيين (راجع ا، اي ٢٨ - ٢٧ اي ٢١ - ٦) .

وقد استمر الخلف بين العرب واليهود ، حتى أن الزعيم العربي «جشم» كان يشن غاراته المتوالية على اليهود الذين قفلوا إلى فلسطين لتجديد الهيكل في عصر الملك الفارسي «كورش» ابن «استير» اليهودية ، (راجع سفر استير ، ونح ٢ - ١٩ و ٦ - ١) وقد كان ترامي الازمان على هجرات اليهود ، جعلهم يحسون أنهم غرباء عن هذا الوطن العربي وآية ذلك أن الذين قاوموا اسكندر المقدوني ، هم العرب وحدهم (راجع خطط الشام ج ١ ص ٥٩) إذ ملك العرب كان يشمل جميع الشام ، حتى أن القديس

العقيدة بين رسول ورسول ووحى ووحى ، لأن الجميع يرتبطون
برباطها المقدس وهي تؤلف بين قلوبهم ، وهذه العقيدة هي التي
جعلتنا نصافح إخوتنا البراهمة قلباً الى قلب ، ونفساً الى نفس ،
مخلصين صادقين معتقدين ، أن اليوم الذي نستظل فيه جميعاً تحت
راية التوحيد الابراهيمي ، ليس بعيداً أبداً .

وهذه الروح الطيبة ، هي التي دفعتنا الى دراسة الاصول

بولس دخل دمشق في عهد الملك العربي « الحارث » (راجع ٢ كو
١١ - ٣٢) ، والمسيح نفسه أنذر بقيتهم المتهالكة بالشتات في
الارض ، وهدم المدينة المقدسة حتى لا يبقى حجر على حجر (راجع
مت ٢٤) ، وأعلنهم أن لا دولة لهم إلا بعد إيمانهم به « هو ذا
بينكم يترك خراباً . . . حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب »
(راجع مت ٢٣) ولاريب أن الله أعلمه انهم لا يقولونها ولن يقولونها
لذلك رمز لهم بشجرة التين التي دعا عليها بقوله (يابسة إلى الابد)
وهذا انذار اشعيا تجده في الترانيم السريانية المارونية أن
« لا ملك ولا كهنوت ولا نبوة لهم »

ونعتقد لو أن القوم يحملون للشعوب مودة وسلاماً ، لما أنذروا
هذا الانذار الخيف من الرسل ، وما رجاؤك في قوم يقابلون
احسان المحسنين اليهم بافطع الوان الغدر ، انظر كيف قابلوا
إحسان المديانين أحفاد ابراهيم (راجع عد ٢٥ - ٦ و ٣١ - ٤
وتك ٢٥ - ٢ وخروج ٢ - ١٥)

وإنك تجسد الاكليروس المسيحي ، لا يطبق جوار اليهود
أبداً ، فهذا بطريك القدس « صفرنيوس » اشترط في صك تسليم

العشرة ، في كل فروع الشجرة الابراهيمية « البوذية »
« والكونفوشيوسية » « والطاوية » « واليهودية » « والمسيحية »
« والاسلام » كما اسلفنا .

وإنا نجد في بقية إخواننا البراهمة ، الى قدس الصلة الوثيقة ،
التي تربطهم بنا وتربطنا بهم منذ أقدم الازمان ، قوة هائلة أول من
تيقظ الى جلالها ، موقظا الهند « غاندي » « ومحمد علي جناح »

المدينة المقدسة للخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه بأن لا يسمح
للإهود بدخولها ، ابقاء للأمر على ما كان عليه ، على أن عمر لم يجد
في فلسطين من اليهود إلا بقية مستضعفة .

والعالم أجمع يدري كيف يتقبل المجتمع العربي قديماً وحديثاً
هجرات المهاجرين ، بالترحاب وإفساح المنزل ، والمودة ، فقد نزل
فيه ، العمونيون والحثيون واليبوسيون والفرزيون
والاحباش والفرس قديماً ، والشركس والارمن والاكراد
والاشوريون واليونان والبوشناق والتركان وسواهم كثير حديثاً
لان الجميع حملوا راية العروبة ، وكان منهم الحماة والقادة إذ هم
يحملون في أعماق أنفسهم الانسانية السامية ، التي تجعل الانسان
يدرك تماماً أنه اخ الانسان لحماً ودماً ، أني حل وفي أي بيئة نزل ،
كما أن العرب الذين دخلوا بلاد فارس والهند والصين وأندونيسيا
وفرنسا وإيطاليا وأخيراً العالم الجديد ، ذابوا في تلك المجتمعات
وأصبحوا من صميم أهلها ، ولم يفكروا أن يحاربوا الشعوب التي
نزلوا بينها ، وبينوا على أشلائها دولاً ، كهمؤلاء اليهود الذين تمر
عليهم الاجيال ، وهم كالحصاة في مجرى الماء يجري ما يجري وهي

فالهند وإن أصبحت دولتين مستقلتين ، لسعة أقاليمها ، وتوامي
أكنافها ، فإنها واحدة في أهدافها وروحها ، لأن كلا الدولتين
فيها المسلمون والبراهمة . وهما نحن أولاء نشاهد دولة الهند
الابراهيمية الفتية آثرت أن يكون ممثلها السيامي مسلماً لدى
حكومة جلالة ملك مصر « فاروق الاول حفظه الله » تأسيداً
لوحدة الروح والاهداف .

وإننا نضرع الى الله ان يؤيد هاتين الدولتين الفتيتين ، على يد
قاداتها المفكرين وشبابهم المثقف المتفاهم ، كما نضرع اليه ان يمنح
أختها « أندونيسيا » من نعمة الاستقلال ما منحها ، بل نضرع اليه
أن يوحد كلمة الانسانية جمعاء ، ويلهمها الحكمة والتواضع ،
والعمل الصادق لتأييد السلام في العالم .

هي على يبوستها وقسوتها ، أو كما يقول التاريخ عن بعض لويسات
فرنسا « لا يحفظون شيئاً ولا يفسون شيئاً » ، فلا تصدق اوربا
وأمركا أن اليهود أصبحوا منها بمجرد إعطاء الجنسية ، والزمان
كشفت وسيدكشف ، وسوف يكشف عن ترجمة هؤلاء الذين ونجهم
سيدنا المسيح لأنهم يقسمون بالذهب (مت ٣٢)

الدعوة العملية الى الله

كثير هم الذين يدعون الى الله بأقوالهم ، على فساد طوبيتهم ،
وصوء أعمالهم ، منشدين :

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي بنفعك علمي ولا يضررك تقصيري
وفاتهم أن الدعوة العملية ، أنبل غاية وأجود عائدة وأكرم
عند الله . بل هي الخليفة بكلمة دعوة ، فالناس لا يستمعون الى
الاقوال ، بمقدار ما ينظرون الى الاعمال : « يا أيها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون » (١) « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً » (٢) وقد بدأ أنشدها
شعراً خالداً أبو الاسود الدؤلي ؟

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام وذو الضنا كما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يسمع ما تقول ويقندي بالقول منك وينفع التعليم
لاته عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وقد اقتبس هذا المعنى ابو العلاء في قوله :

(١) سورة الصف آية ٢

(٢) سورة الاحزاب آية ٢٢

وانصح رفاقك ما الفيت مستمماً وليشهدوا أثراً من نصيحتهم فيك
وهل خدمت جذوة الدعوة الى الله في العالم ، وامتنعالت الى
رماد معصوف ، أفضى الى انتشار وبأ الاحاد ، إلا بعد أن أمست
اقوالاً معسولة في علقم الافعال ، وما كان انتشار المسيحية ، على
يد الحواريين الكرام « انصار الله » لان كلماتهم فتنت الناس
وجذبتهم الى الايمان ، بل لان اعمالهم كانت كذلك .

ولم يسلم اهل الصين والهند واندونيسيا وسواهم لان الحكومات
الاسلامية امدتهم بالارسلالات الدينية ذات البيان واللسن ، بل لان
مهاجرين اخياراً صادقين في اسلامهم نزلوا بينهم ، او تجارا كراماً بورة
اجتازوا بهم ، فكانوا كواكب هداية وكنوز خلق وانسانية ودين
ويجدونا الواجب المقدس هنا ان ننوه بالعلامة الكبير السيد

« خالد عطوي نصيف » (١) ، اذ كان من بواعث صدقه في اتباع
هدى القرآن وفرض تعاليمه خلقاً له ، النبيل والاستقامة في كل
اعماله ، والمفاداة بالمادة في سبيل الانسانية البائسة وبالاخرى مواظبه
من اهل « كندا » مما دفع كثيراً من اخوانه الى دراسة المثل العليا
التي جاء بها القرآن الكريم ، واعتناقها على غير توجه منه لهذا الامر .

(١) هذا الطبيب قد هاجر من شبعا سنة ١٩١٣ م الى العام
الجديد وهو يحمل معه القرآن الكريم ، وجعبة مما ورث عن اجداد
آل نصيف من كتب طيبة خطية .

وقد كان من نتائج دراساته الخاصة أن سجل حتى اليوم في
كندا اربعين دواء آخرها دواء السكري الذي أعى الطب
وصبوزع في صيدليات العالم قريباً .

خاتمة

انا نجد من الوفاء ، قبل ان تطوي آخر صفحة من كتابنا هذا أن ننوه بجلائل الاعمال التي تقوم بها مصر العظيمة ، على يد بعوثها في سنى الاقطار ، للدعوة الى الله ، يزجها ثاني رجل في الدولة ورئيسها الديني الاعلى وشيخ اكبر واقدم جامعة اسلامية « الازهر الشريف » فضيلة العلامة الكبير الشيخ مأمون الشناوي تساعده هيئة كبار العلماء ، ورجال الوعظ والارشاد ، وكم نتمنى ان يحدو حدوة معهد النجف الاشرف وجامعة عليكرة ومعهد الزيتونة وفاس . وانا نرى ذلك قريباً لأن البيقظة والاتجاه الروحي اخذا سمتها العملي الى الحياة .

كما ننوه بجهود فضيلة المرشد العام للاخوان المسلمين الاستاذ حسن البنا ، وسعادة صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين الذين يوجهان الشباب ، الى الاخذ بمثل الانسانية للعليا التي اوحاها الله في القرآن الكريم ، اخذا عملياً اكيداً ، فيه قوة ومجد ، وفيه فضيلة ونبل ، ومعرفة عميقة وحضارة سامية .

وانا نرى من الحق علينا أن نوذن بجهود ، مفتي الجمهورية اللبنانية الاكبر سماحة الشيخ « محمد توفيق خالد » لاعداده الشباب في كلية فاروق الاول الشرعية ، ليقوموا بواجب الدعوة الى الله . ولا يعزب عنا ان نكبر الاعمال ، الخالدة التي تقوم بها الهيئات الكبرى في الهند ، وبالاخرى جمعية لاهور الاسلامية ، الساهرة التي لها سعة الميادين في اوربا والعالم الجديد .

وكم افدنا من تلکم الاسفار الخالدة ، التي يقوم بتأليفها
واخراجها ، مؤسسو دار الطباعة العربية في « بونس ايرس »
الدكاتره « سنتياغوم ، بيرو التا ، وسيف الدين رحال ، و ابراهيم صالح »
وما اهتمدى اليه العالمان الصديقان الاستاذ يوسف على الهندي
والشيخ الرواف ، من نقل اهداف القرآن الكريم الى اللغة
الانكليزية .

ويسرفا جداً ان نبارك نهضة « اندونوسيا » الحديثة ، وجمعية
الآداب الاسلامية ومكارم الاخلاق العراقيتين ، وجمعية التبليغات
الاسلامية في ايران ، بيد اننا نستميح عضوها الاديب ، نقيب
اشرف حوران الشريف « جابر السيد » عذراً حيث لم نذع تقريره
لاعمالنا ، لأننا لم نر انفسنا خليقة بذلك ، ولما نقدم بعد الى
الانسانية سوى ثمرات نحسبها فجوة ، وتحتاج الى نضج وجهاد طويل
وكم كان يسعدنا ان نتحدث عن النشاط الديني لاختوتنا
البراهمة ، ومؤسساتهم للدعوة الى الله ، في هذا الجزء الخاص
بهم ، تأييداً لما اخذنا عليه انفسنا ، ولكن حال دون ذلك بعد
الدار ، وتباين اللغات ، وفقد المراجع من بين ايدينا ، في هذه الناحية
واذا فائقنا ذلك على الرغم منا هذه المرة ، فاقا نرجو ان لا
يفوتنا مرة ثانية ، فنحن نطلب اليهم بالحاح ، والى المؤسسات
الاسلامية في الهند ، ان يتفضلوا بموافقاتنا بكل ما لديهم من
معلومات في هذا الصدد ولهم منا جميل الشكر وعظيم الامتنان .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني تحت عنوان

طفيليات واساطير

استدراكات

صواب	خطأ	سطر	صفحة
انتهوا	انتهو	١٢	٩
والارض جميعاً	والارض	٧	٢١
بآيه	بآية	٣٣	٣٠
شروح	شروع	١	٣٤
لهفة	لهمة	١٥	٣٩
.	(١)	١	٤٠
ودلته	ودهته	٧	٤١
تيسير	تيسير	٩	٥٥
هذه	هذة	١	٦١
اكتشفناها	كتشفها	٤	٧٣
الفيلسوف	الفيلسوف	٥	٧٥
إن	أن	١	٨٠
الله	الله	٣	٨٦
خيراً	خير	٦	٨٨
٣ سورة المائدة	٣	١٥	٩٢
يريبهم	يريبهم	٣	٩٨
معارف	المعارف	٢١	٩٨
الطواف	الطواني	٩	١٠٢

الفهرس

المقدمة	٢	١٠٨ البراهمة
التوطئة	٩	١١٧ البراهمة الحاليون
الناموس، او اصول الوحي	٦٤	١٢٤ نظر الاسلام الى البراهمة
الاهي في الاديان		١٣٠ الدعوة العملية الى الله
ابراهيم والبرهمية	٩٦	١٣٣ خاتمة

دار الانصاف للطبع والترجمة والنشر

راى اصحاب مطبعة الانصاف في بيروت ان لبنان محروم من دار للطباعة والترجمة والنشر تعني باخراج الكتب الاسلامية والتاريخية والادبية الحديثة وكل ما يتعلق بهذا الفرع السامي . . . وبلا حرى وقد اتجه العالم اليوم بعد اكتشاف القنبلة الذرية وشدة الخوف من الحرب المقبلة ، الى احياء الروح الديني العالمي والعاطفة الانسانية الكريمة .

وقد اسندوا مديرية الدار الى الاستاذ الشيخ هاشم الدفتر دار وسلمت امانة السر الى الاستاذ الشيخ محمد علي الزعبي ، وهذه الدار تقوم بطباعة الكتب الحديثة الجيدة المختصة بهذا الفرع .
المكاتبة بامم امين سرها

الشيخ محمد علي الزعبي

مطبعة الانصاف - بيروت

منشورات دار الانصاف

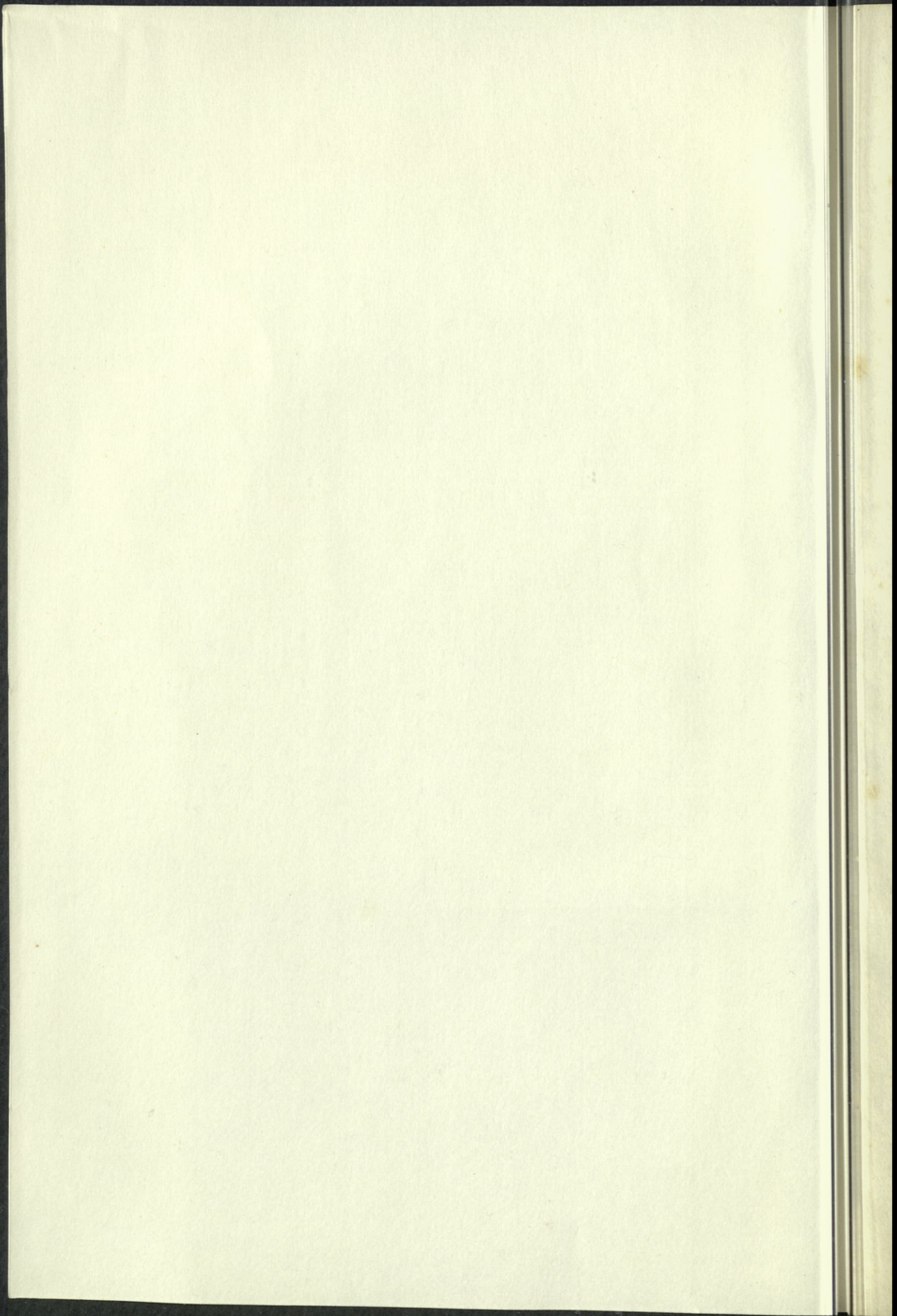
محمد ، نابوليون السماء

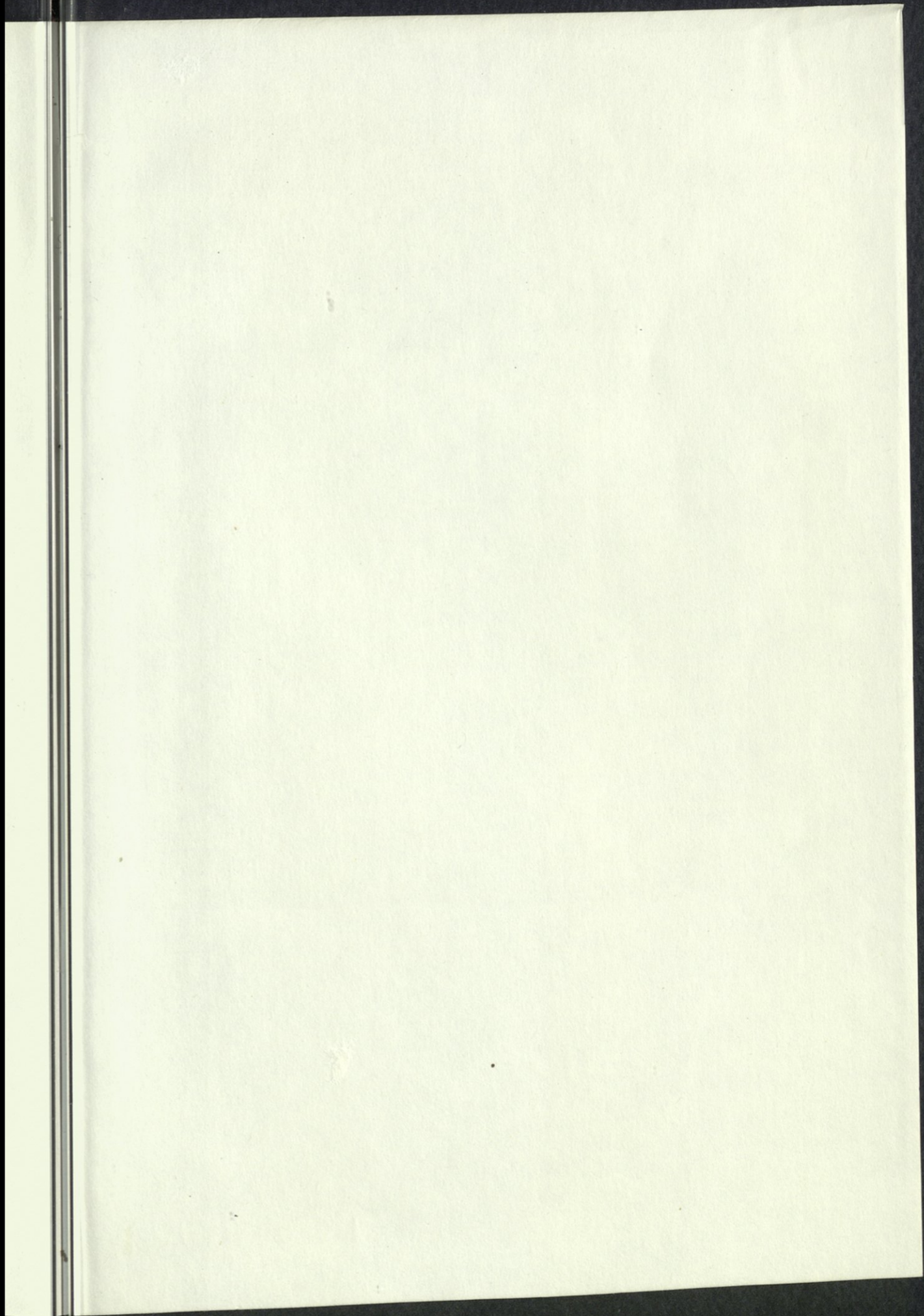
هو أول كتاب يصدر من نوعه لمستشرق أوربي، فيه اكبار
للمعرفة، وانصاف للحق، فوق كل اكبار وانصاف، وفيه فهم عميق كريم
أجل قد استطاع « جان بروا » المستشرق الفرنسي الكبير ،
ان يستعرض سيرة خاتم الرسل ﷺ استعراضاً فنياً رائعاً يأخذ
بمجامع القلوب والالباب .

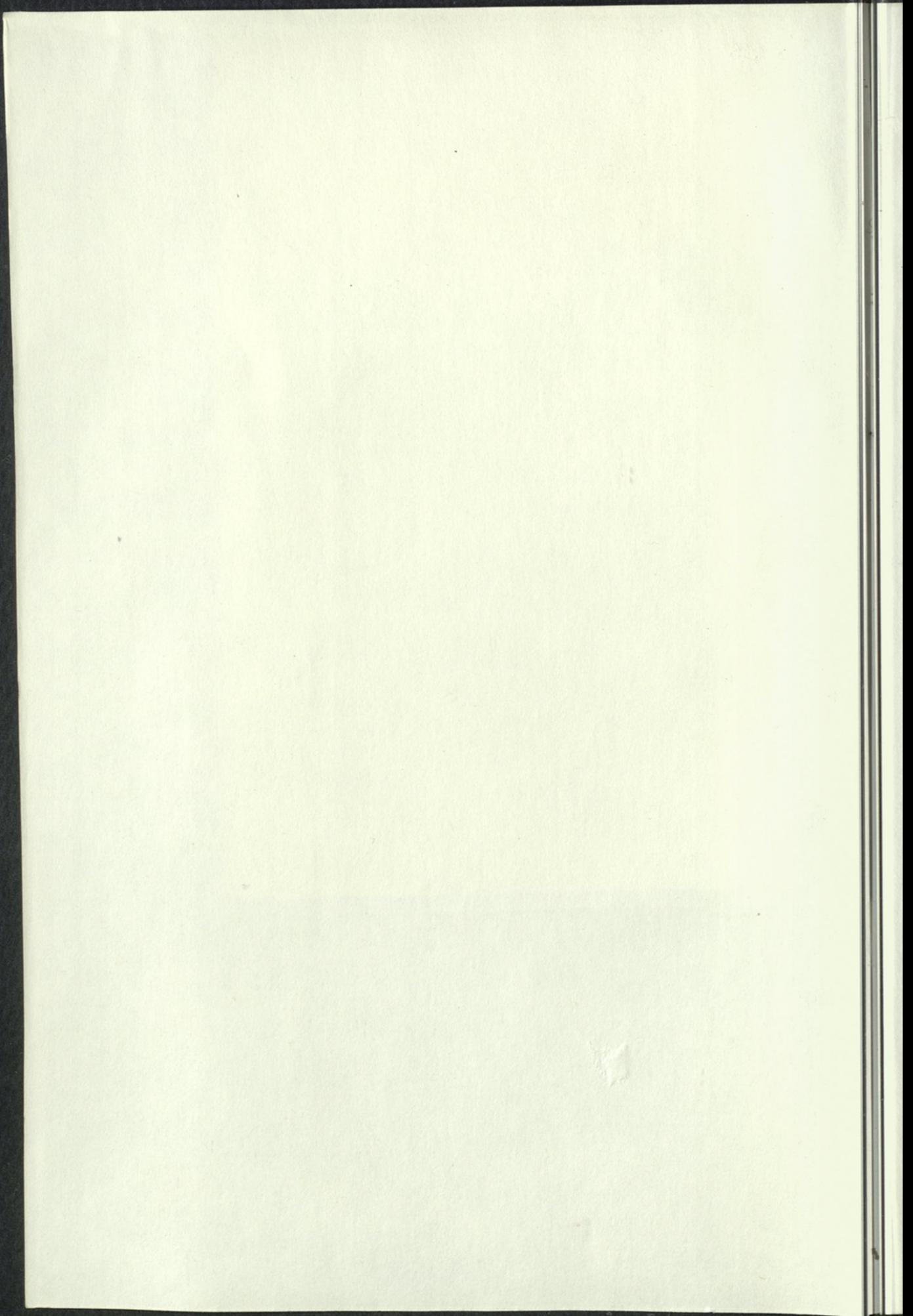
كثير هم المستشرقون الذين كتبوا في السيرة النبوية، وعلى
كثرتهم لم يستطيعوا أن يكشفوا خفايا اللفظ الذي ثار ثأره في
أوروبا حول المسائل الثلاث: « ازواج النبي، حروبه، صلته باليهود »
وقد أوفى « جان بروا » هذه النواحي الثلاث في مواطن
شتى من كتابه ايفاءً دقيقاً صادقاً، اذ لم يكتب كتابه الا بعد
ادمان الدرس ومتابعة البحوث، وبعد ان زار مكة مسقط
راس النبي ﷺ وادى فريضة الحج ودرس مواطن الغزوات
ومكث في المدينة المنورة مدة طويلة .

وقد نقل كتابه هذا الى اللغة العربية الشاب المثقف محمد صالح
البنداق الموظف في شركة الريجي، ووضعه في اسلوبه الفني المشرق
ونسقه تنسيقاً يوافق الذوق العربي معتمداً على اوثق المصادر العلمية
في ضبط الحوادث الاستاذ هاتم الدفتر دار المدني المدرس في كلية
فاروق الاول الشرعية .

وقد قامت بطبعه مطبعة الانصاف في بيروت وهو يطلب منها
ومن اشهر المكاتب .







DAT III

~~J. LIB.~~

~~19 MAR 1981~~

294:D124nA:v.1:c.2

الزعيبي، محمد علي
نواة الوحدة الدينية في العالم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



294:D124nA

v.1 c.2

الدفتر دار

294

D124nA

c.2

v.1

